

الدكتور شوقي أبو خليل

# بلاط الشهداء

بقيادة

عبد الرحمن الغافقي

قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا

تَكُونُ فَسْه







شوقي أبو خليل

بلاط الشهداء «نواثيه»

بقية

عبد الرحمن الغافقي

دار الفكر  
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر  
بيروت - لبنان

تصوير ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م  
عن ط ٢ - ١٩٨٠ م

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤  
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقياً : فكر - تليكس Tx FKR 411745 Sy



# تَصَدِير

★ « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله  
أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم  
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال  
والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين  
إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه  
راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة  
وأولئك هم المهتدون »

البقرة : ١٥٤/١٥٧

بسم الله ، له الحمد والشكر وحده ، وصلى الله على من  
لا نبي بعده •

إن أول واضع لخطة الفتوحات الإسلامية في أوربة هو  
الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، إذ ندب عبد الله بن سعد بن  
أبي سرح لفتح بلاد شمال افريقية ، ووافته البشائر بفوز جيوشه  
على جيوش جرجير والي « سبیطلة » من قبل البيزنطيين ، فندب  
عبد الله بن عبد القيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين ،  
وكانا على الأسطول ، فأمرهما بالمسير الى الأندلس ، وكتب لهما  
في ذلك ، تلك الوصية الرائعة التي يقول فيها : « إن القسطنطينية  
تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم إن فتحتم ما أنتم بسبيله تكونون  
شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر<sup>(١)</sup> » •

وقد اتخذ ولاية شمال افريقية ، وقواد أجنادها هذه الوصية

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج : ١ ، ص : ٨٤ ، الكامل ، ج : ٣ ، ص : ٤٧ •

الطبري ، ج : ٤ ، ص : ٢٥٣ •

نبراساً لسياستهم الإسلامية التي يسرون عليها ، فهي تعني حصار القسطنطينية من البر الأوربي ، وتفيد في اضعاف المدد الممكن للقسطنطينية عند حصارها .

وأول أمير شرع في إعداد الوسائل والمعدات لتنفيذ تلك الوصية ، الأمير حسان بن النعمان ، وذلك بعد أن دان له شمال افريقية بالطاعة ، فقد أنشأ بفتاء قرطاجنة — في تونس — دار الصناعة لبناء السفن والأساطيل وصنع الأسلحة ، وجلب لها الصناع من سكان مصر ، وسار على منهاجه موسى بن نصير .

وكان بعدها أن اجتاز طارق بن زياد — بتكليف من ابن نصير — بجيوشه أرض العدو إلى الأندلس ، حيث فتحها الله له ، ووصل المسلمون إلى حدود فرنسة ، ثم عبروا الحدود فاتحين ، وجرت معارك كثيرة ، كان أهمها « بلاط الشهداء » .

ولعل التاريخ الإسلامي كله لم يقدم إلينا حادثاً جليلاً ، كان له من الخطورة والأهمية وبعد الأثر ، ما كان لموقعة بلاط الشهداء ، فلو لم يرد المسلمون في سهل « تور » لما كانت ثمة أوربة نصرانية ، بل لعله ما بقيت نصرانية على الإطلاق ، ولكان الإسلام يسود أوربة ، ولكانت أوربة الشمالية تموج اليوم بأبناء الشعوب السامية ذوي العيون الدعج ، والشعور السود ، بدلاً من أبناء الشعوب الآرية ، ذوي الشعر الأشقر ، والعيون الزرقاء .

والمصادر العربية عن المعركة قليلة مقتضبة ، فلم يذكر الواقدي والبلاذري والطبري . . . . وهم من أقدم رواة الفتوح ، شيئاً عن المعركة ، ومن هنا جاءت صعوبة الكتابة عن بلاط الشهداء

وبطلها عبد الرحمن الغافقي • وابن الأثير لم يذكر في حوادث سنة  
١١٣ هـ / ١١٤ هـ سوى تكرار رواية ابن عبد الحكم ، وهي  
مقتضبة أيضاً •

فالروايات العربية موجزة ، وهذا يدل على فداحة الخطب  
الذي أصاب الإسلام في سهل تور ، على عكس الروايات النصرانية  
التي تفيض في تفاصيل الموقعة ، وتشيد بظفر شارل مارتل — أو  
« قارلة » كما تسميه المراجع العربية — وترفع من بطولته ، وتذهب  
الرواية النصرانية ، ومعظم كتابها من الأبحار المعاصرين ، في  
تصوير نكبة المسلمين الى حد الإغراق ، فتزعم أن القتلى من  
المسلمين في الموقعة بلغوا ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألفاً ، في حين  
أنه لم يقتل من الفرنجة سوى ألف وخمسمائة ، ومنشأ هذه  
الرواية رسالة أرسلها الدوق أودو الى البابا جريجوري الثاني  
يصف فيها حوادث الموقعة ، وينسب النصر لنفسه ، فنقلتها  
التواريخ النصرانية المعاصرة وكأنها حقيقة يستطيع العقل أن  
يسفيها ، بيد أنها لم تكن سوى خرافة محضة •

ففي « بواتيه » لم يُسحَق الجيش الإسلامي بالمعنى  
المفهوم للهزيمة الساحقة ، ولكنه كان ارتداداً ، بل انسحاباً منظماً  
من تلقاء نفسه ، فقد لبث يقاتل طوال المعركة الفاصلة حتى المساء ،  
محتفظاً بمراكزه أمام العدو ، ولم يرتد أثناء القتال ، والدليل على  
هذا القول ، رهبة الفرنجة من مطاردة المسلمين ، وحذرهم من  
اللاحاق بهم عقب بواتيه ، وتوجسهم من كون انسحاب المسلمين  
خدعة حربية ، وخطّة مبيّنة ، ولو أن الجيش الإسلامي انتهى



الى انقراض — كما تصوره الرواية النصرانية الكنسية — لبادر الفرنجة إلى مطاردته وتجهاز عليه ، ولكنه كان ما يزال من القوة والكثرة الى حد يخيف العدو ويرده .

إن أفدح خسارة في بواتيه كانت استشهاد الغافقي ، لأنه الرجل الوحيد الذي استطاع بهيبته وقوة إيمانه ، وشخصيته الملتزمة بإسلامه الصافي أن يجمع الإسلام في الأندلس ، فكان مقتله في هذا المأزق العصيب ، ضربة شديدة لمثل الاسلام ، ولمشاريع الخلافة في افتتاح أوربة .

— استشهد عبد الرحمن الغافقي في بلاط الشهداء ، فكان الانسحاب الإسلامي .

— استشهد وهو يحاول رآب الصفوف التي تصدّعت عندما هاجم الفرنجة الغنائم التي كانت مكدّسة خلف الصفوف .  
ومع هذا كله ، فإن على ذاكرة التاريخ أن لا تنسى أولئك الذين بذلوا وأظهروا كل ضروب الفداء والتضحية والصدق والاخلاص والبرسالة والشجاعة ، ولكنهم أصبحوا قادة بلا جنود فهزموا ، أو جنوداً بلا قائد فأثروا الرجوع . وفي أغلب الأحيان ، فإن ذاكرة التاريخ تذكر بالفخر والاعجاب الأبطال الذين صنعوا الانتصارات ، وتجعلهم في مركز الصدارة ، ولذا فهي تخلّد الغافقي بطلاً عظيماً ، وإن لم يكن قد حقق النصر في بواتيه ، وذلك لما أبداه من الطموح والصدق في نشر الدعوة الإسلامية ، مع ثقته بنفسه وجيشه ، وحزمه في أموره ، ولكنه استشهد في المعركة الفاصلة وأصبح الجند بلا قائد .



ولو أنه انتصر في بلاط الشهداء لعُتت شهرته الخافقين ،  
ولأسبحت الدنيا منذ ذلك الحين مسلسة ، ويكفي العافقي فخراً  
أنه بالاسلام ، وبالاسلام وحده ، أوصل جيوش المسلمين الى  
ضواحي باريس ، ويكفي الاسلام فخراً ، أنه أوصل العريضة  
والعروبة الى قلب فرنسة ، فلولا الاسلام لبقيت قبائل العرب في  
جزيرتها — ولا ندري الى متى ! — تحت وصاية الفرس والرومان .  
والحقيقة التي لا جدال فيها . . انه في سهول « تور — بواتيه »  
فَقَدَ المسلمون سيادة العالم بأسره ، وتغيَّرت مصائر العالم  
القديم كله ، وارتد تيار الفتح الاسلامي أمام الأمم الشمالية ، كما  
ارتد قبل ذلك بأعوام أمام أسوار القسطنطينية ، وأخفقت بذلك  
آخر محاولة بذلتها الخلافة لافتح أمم الغرب ، وإخضاع أوربة  
لصولة الاسلام .

لأمر أراده الله ، لم ينتصر المسلمون في بلاط الشهداء  
« بواتيه » في القرن الثامن الميلادي ، إنها مشيئته جل شأنه ،  
ليثبت للدنيا بأسرها أن الإسلام قوته ذاتية ، كامنة فيه ، وسيعم  
نوره أوربة فيما بعد بواتيه بقرون ، فها هو اليوم « الدين  
الزاحف » على عواصم الغرب في القرن العشرين ، وبشائره تجعل  
النتائج المتوقعة محققة .

نجد المسلمين من أبناء أوربة دعاة إسلام ، والمنارات تتعالى  
بالله أكبر في عواصم ومدن الغرب ، ليشهد العالم أن الإسلام  
ينتشر بلا سيف ، لأنه الأمل المنشود ، فيه التوازن الرائع بين  
الدين والدنيا ، والروح والمادة ، والعقل والقلب .



لقد وعى برناردشو حاجة أورة الى هذه المعاني ، فقال :  
ما أحوج العالم الى . . بل مثل محمد ليحل مشكلاته . . . ولن  
ينقضي هذا القرن العشرون إلا وأورة يعمها الاسلام .

في فرنسا وحدها اليوم أربعة ملايين مسلم من أبنائها  
الأصليين ، غير الجاليات الإسلامية ، وهذا الرقم يتضاعف لزيادة  
الدعاة من الذين أسلموا .

وفي أمريكا اليوم ملايين المسلمين ، وهذا العالم الأمريكي :  
« Michal H. Hart » يجمع أعظم شخصيات العالم ، منذ بدء  
العصور التاريخية ، وحتى عصرنا الحالي ، وينتقي منها مئة شخصية  
فقط ، لها أثرها العالمي في شتى مجالات الحياة ، ويرتبها في كتابه :  
« المئة : The 100 » بحسب أهيتها وأثرها في البشرية ، فكان  
سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الشخصية الأولى في الكتاب « فهو  
الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بتفوق على الصعيدين الديني  
والمدني » وهذا مصداق لقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ،  
معرفاً بقيمة ما جاء به من عند الله سبحانه .

يقول عز وجل في محكم التنزيل : « ليظهره على الدين كله »  
وهذه الآية الكريمة لم نشهد بعد تحقق معناها الشامل ، ونرى  
اليوم بوادر شمولها ، ولا بد وأن يشهد جيلنا ذلك ، ولو بعد حين .  
فإلى الجزء السادس من هذه السلسلة ، إلى بلاط الشهداء  
وأحداثها ، والدرس المستفاد منها ، على بركة الله .

شوقي أبو خليل

ص ٦٢٢٢ :

دمشق - سورية



# المسلمون في فرنسا

★ « استتباب الفتح في الأندلس ، مهد  
لنقل ميدان الجهاد وراء جبال البرانس » .

فتح المسلمون الأندلس فتح استقرار وإقامة . فطبعت معالمها  
بإحضارة العربية الإسلامية ، وفكّر موسى بن نصير في عبور  
جبال البرانس<sup>(١)</sup> ، لبسط السيادة الإسلامية على فرنسا ، ومن  
ثمّ الاتجاه شرقاً لفتح القسطنطينية ، معقل الروم ، ولكن الخليفة  
الوليد بن عبد الملك خشي من هذه المغامرة ، إذ لم يحدث تاريخياً ،  
أن جيشاً قد اخترق أوربة من الأندلس حتى شواطئ البحر  
الأسود دفعة واحدة ، فاستدعى الوليد موسى وطارقاً .

ولما كانت ولاية السمع بن مالك الخولاني<sup>(٢)</sup> عام ١٠٠ هـ ،  
الذي يشبهه بعمر بن عبد العزيز في إسلامه وتقواه وخلقه ، والذي  
وصفه ابن الأثير بأنه من أفاضل عرب إفريقية ، ومن خيرة الولاة

---

(١) أو جبال البرينية ، وفي العربية البرت أو البرتات أو البرانس  
Pyrenees ، أي « الابواب » ، ومن ثم فقد سميت أيضاً جبال الابواب ، ويقال  
بها « الحاجز » .

(٢) اختاره عمر بن عبد العزيز : « لمعرفته هذه الشخصية التقية النقية  
المجاهدة الباسلة الممتلئة إيماناً وحماسة ورغبة للعمل الخير والجهاد الفاتح ، وأحسن  
الحليفة ابن عبد العزيز الاختيار ، فحمل الناس على طريق الحق ، ولا يعدل بهم عن  
منهج الرفق » . التاريخ الأندلسي ص : ١٨٩ .



الذين تولوا أمر الأندلس ، وعاد الحماس الى الجند الإسلامي لمعاودة الغزو في غاليا<sup>(١)</sup> ، فنقل مركز الخلافة إلى قرطبة<sup>(٢)</sup> ، لاعادة التنظيم الاداري ، ولتأمين الجبهة الداخلية ، استعداداً للفتح خلف جبال البرانس .

سار السمع إلى أرض غاليا ، وفتح اقليم سبتمانيا<sup>(٣)</sup> ، واتخذ أربونة<sup>(٤)</sup> قاعدة لعملياته الحربية في فرنسة ، فأعاد ترميم الحصون ، ودعّمها بجند مسلمين ، وتتبع مجرى نهر الجارون ، واتجه غرباً حتى وصل طولوشة عاصمة اكويتانيا ، التي قاومت حتى وصلتها الامدادات ، وأخذ السمع يشد من أزر جنده المسلمين ، ويتلو عليهم بروح مؤمنة مستتيرة صادقة ، قوله تعالى : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

ولكن السمع أصيب بطعنة عميقة بالغة في المعركة التي دارت على أسوار طولوشة عام ١٠٢ هـ / ٧٢١ م ، فقت ذلك من عضد الجند المسلمين ، فارتدوا جنوباً عن طولوشة ، التي تعتبر أول نكسة للمسلمين في أرض غاليا « فرنسة » .

---

(١) غاليا ، أو غالة ، أو الارض الكبيرة تعني فرنسة حالياً .

(٢) كانت العاصمة طليطلة ، ثم أصبحت اشبيلية زمن عبد العزيز بن موسى ، ونقلها السمع الى قرطبة ، التي استمرت عاصمة الاندلس حتى نهاية الدولة الاموية في الاندلس .

(٣) سبتمانيا : منطقة ساحلية من البرانس غرباً الى مصب نهر الرون شرقاً ، واسمها اليوم « الرفييرا » ، وهي تطل على البحر المتوسط جنوبي فرنسة ، عاصمتها أربونة .

(٤) الى اليوم في المدينة شارع يحمل اسم « السمع » .



وسقط السمع شهيداً ، وانسحب المسلمون بعد أن فقدوا  
مأندهم المفوار البطل ، وكان عبد الرحمن الغافقي أحد جنود  
السمع في المعركة ، فأجمع الجيش المسلم على اختياره للقيادة ،  
ورأى من الحنكة أن يرتد الى الجنوب ، ولكن حزنه الأليم على  
مصرع السمع ، واستشهاد رفاقه جعله يفكر جدياً في الانتقام  
لمصارع الأبطال ، واستئناف الغزو والهجوم ، وكانت تلك ولاية  
عبد الرحمن الأولى ، التي لم تدم إلا بضعة أشهر .

عين عامل افريقية يزيد بن أبي مسلم عنبسة بن سحيم الكلبي  
عام ١٠٣ هـ / ٧٢١ م أميراً على الأندلس . فقفى عنبسة السنوات  
الأربع الأولى من إمارته في تنظيم أمور الأندلس وتهديتها ، وانهاء  
الخلافات العصبية ، ثم واصل حروبه في غاليا ، وسار على الساحل  
حتى وصل نهر الرون ، بعد أن مرّ من مدن : أربونة ، ومونبلييه ،  
ونسه . وأبنيون ، وفي وادي الرون فتح مدن : فالنس ، فيني ،  
لون . شالون ، حيث سار قسم من الجيش شمالا باتجاه ديجون ،  
ولانجر ، وقسم باتجاه أوتون ، ووصل مدينة سانس .

اكتسح المسلمون بقيادة عنبسة حوض الرون ، بزحف ظافر  
علق عليه مؤرخون معاصرون له ، بأن الله قذف في قلوب الكفار  
الرعب ، فلم يتصدّ أحد منهم للمسلمين إلا لطلب الأمان<sup>(١)</sup> .

فتح المسلمون المناطق الفرنسية الجنوبية والشرقية ، ولم  
يجدوا مقاومة إلا في مدينة سانس — الواقعة على بعد ثلاثين

(١) المسلمون في أوربة ، ص : ١٠٥ ، عن : غزوات العرب لارسلان .

كلوا منرا فقط جنوبي باريس - والتي كانت عاصمة اقليم يوند ،  
وفيها تصدى إيبون أسقف المدينة للزحف الإسلامي ، وكان قد  
استعد له من قبل ، فحصن المدينة ، وحشد مواطنيه ، فهبوا معه  
لحماية مدينتهم ، ونجحوا في إيقاف الزحف الإسلامي (١) .

أدرك عنبسة بعد هذا الزحف المظفر ، الذي أوصله الى  
ضواحي باريس ، أنه توغل أكثر مما ينبغي ، فخشي أن يقطع العدو  
خطوط تموينه ، أو طريق عودته ، وبخاصة أنه سمع بانبعثات  
العصية في الأندلس من جديد ، ووقع خلاف فيما بين العرب  
والبربر .

وهذا الذي شعر به عنبسة ، كان حدثاً صحيحاً ، فبينما كان  
في طريق عودته داهمته جموع كبيرة من الفرنجة ، فالتحم معهم ،  
وأصيب بجراح بالغة في شعبان ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م ، استشهد على  
أثرها ، فعادت بقية الجيش بقيادة عذرة بن عبد الله الفهري إلى  
أربونة .

« ينبغي أن نلاحظ أن حملة عنبسة لم تكن في الحقيقة غير  
غارة بعيدة المدى ، ولو كان عنبسة على نية الفتح الثابت ، لأتم  
الاستيلاء على ما غلب عليه من المدائن ، ولأقام الحاميات في بعضها  
على عادة العرب في فتوحهم ، وربما كانت نيته من أول الأمر أن  
يقوم بحملة تشبه حملة عقبة الكبرى ، غارة بعيدة المدى تشق  
البلاد شقاً ، وتطلع المسلمين على أحوالها وتمهد لما بعدها ... »

(١) فجر الاندلس ، ص : ٢٤٧ ، ارسلان و غزوات العرب ، ، ص : ٧٩ - ٨٠ .



ومهما دكن من الأمر فان عنبسة بن سحيم الكلبي ينفرد بين  
العالمين المسلمين بهذا الفخر ، فخر الوصول برايات الاسلام الى  
قلب أوربة الغربية ، ولم يدرك هذا الشأو بعد ذلك فاتح مسلم  
آخر « (١) » .

خلف عذرة الفهري عنبسة في حكم الأندلس ، وبقي من  
شوال ١٠٧ هـ ، وحتى ربيع الاول ١١٠ هـ ، فواصل حروبه في  
فرنسة . فاقتحم سبتانية مرة أخرى ، ودخل حوض الرون .

ومما يذكر أن المسلمين في هذه الفتوح ، أو السرايا ،  
ما تعرضوا الى كنيسة أو دير ، غير أن المراجع النصرانية الأوربية  
أطلقت العنان لخيالها ، فكلما وجدت ديراً قد احترق ، أو كنيسة  
تخربت في هذه الفترة من الزمن ، نسبت ذلك الى المسلمين ، مع  
العلم أن العصر كله كان عصر اضطراب وحروب بين النصارى  
بعضهم مع بعض في هذه الجهات من غاليا على وجه الخصوص .

من المؤرخين الأوربيين الذي اتهموا المسلمين بالتخريب  
والاحراق المؤرخ « رينو » ، مع أنه يعلم أن « كلوفس » أنزل  
بالكنائس والأديرة في جنوبي غاليا وفي بوردونيا ، وفي أقطانية  
من التخريب والأضرار ما فاق كل وصف ، وليس من المعقول أن  
المسلمين لم يكن لهم هم في غاراتهم في غاليا إلا تخريب الكنائس  
والأديرة واشعال النار في المدن ، فقد فتحوا قبل ذلك مصر وافريقية  
والأندلس ، وهي كلها غاصة بالكنائس والأديرة ، وما إليها من

---

(١) فجر الاندلس ، ص : ٢٤٨ .

المؤسسات النصرانية ، فلم يحرقوا . ولم يخبروا ، فمن عجب أن ينقلب حالهم إذا عبروا الى غاليا . فيتحولوا الى برابرة مخربين لا يكادون ييقون على شيء<sup>(١)</sup> !!

ويعلق الدكتور حسين مؤنس في فجر الاندلس على ماسبق قائلاً : « الواقع أن هذا الكلام لا يقوله مؤرخ جاد يقدر معنى ما يقول ، فليس من الجد في شيء أن يقال إن العرب لم يفعلوا في غاليا غير تخريب الكنائس وحرق الأديرة ، والثابت المعروف عنهم أنهم لم يخبروا كنيسة أو يحرقوا ديراً ، وإذا نحن قارنا المسلمين بالشعوب التي كانت تسود غاليا في ذلك الحين ، من الفرنجة وقوط غربيين ، وقوط شرقيين وبرغنديين ومن إليهم ، لتبيننا أن المسلمين كانوا أعظم حضارة ، وأبعد عن النهب والتخريب ، ومهما بحثنا في حوليات ذلك العصر ، فلن نجد بين من ظهوروا على مسرح الحوادث في غاليا خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي ، رجالاً نستطيع أن نقارنهم بالسماح بن مالك . أو عنيسة بن سحيم ، أو عبد الرحمن الغافقي » .

المسلمون على عكس الوندال الذين سبقوهم ، وبالعكس شارل مارتل « قارلة » وبين وشارلمان فيما بعد ، فهؤلاء هم الذين

---

(١) فجر الاندلس ، ص : ٢٥٨ . ويرى د. عمر فروخ في : « العرب والاسلام في الحوضين » ص : ١٣٣ : « إن عددا من الكنائس والاديرة - وخصوصا تلك التي كانت مبنية خارج أسوار المدن ككنيسة مدينة « تور » مثلاً - كانت في الحقيقة قلاعاً وحصوناً ، وكان الفرنجة يقاتلون العرب من ورائها ، فليس بدعاً إذن إذا هدمها العرب في أثناء المعارك » .



نهبوا الكنائس ، واستولوا على كنوزها وخربوها بعد معركة  
بلاط الشهداء !

★ وصل عبد الرحمن الغافقي الى ولاية الأندلس ثانية ،  
وموقعة طولوشة ترك أثراً عميقاً في نفسه ، وأخذ منها درساً كبيراً ،  
هو الحيلة والحذر ، كما أشعلت الحماس في قلبه للثأر لما أصاب  
المسلمين من هزيمة .

استعد الغافقي استعداداً كبيراً لغزو فرنسة ، وأعلن الدعوة  
للجهاد في سبيل الله ، وأعلن هذه الدعوة في افريقية ، كما أعلنها في  
الأندلس ، فتدفق عليه المتطوعون من كل ناحية ، وتجمع لديه عدد  
ضخم من المجاهدين ، بلغ ما بين سبعين الى مائة ألف رجل ، وبدأ  
تحركه بعبور جبال البرت في أوائل سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م (١) .

وفي غاليا استعد دوق اكويتانيا ، واسمه « أودو » للقاء  
المسلمين ، وهو الذي دأب على حماية دوقيته بشتى الوسائل ،  
وأهمها إثارة الخلاف بين المسلمين عرباً وبربر في الأندلس .

ورأى عبد الرحمن الغافقي أن يطهر الجبهة الداخلية قبل أن  
يشتبك مع أعداء الاسلام في موقف حاسم ، فبعث بكتيبة من  
جنوده الى عثمان بن أبي نسعة ، بقيادة ابن زيان ، فهرب ابن أبي  
نسعة مع أنصاره الى الجبال ، فتبعه ابن زيان وقضى عليه  
وعلى ثورته (٢) .

---

(١) المسلمون في أوربة ، ص : ١٠٨ .

(٢) سننناش « خرافة مونوسة » في خاتمة هذا الكتاب ، كما وردت في الكتب  
المعتمدة ، ونفند ما نسج حولها من قصص خيالية غرامية .. وأن لا علاقة لها بأحداث  
ابن أبي نسعة .

جسع عبد الرحمن الغافقي المجاهدين في مدينة بنبلونة ،  
وخرج باحتفال مهيب ليعبر جبال البرانس في أوائل صيف عام  
٧٣٣ م من ممرات رونسفال ، واتجه شرقا في جنوبي غاليا ، ليضل  
الفرنجة عن وجهته الحقيقية ، فأخضع مدينة أرل التي خرجت على  
طاعة المسلمين ، ثم اتجه الى دوقية أقطانيا ، فانتصر على الدوق  
أودو انتصارا حاسما ، وتقهقر الدوق من عاصمته بثر دال ، ومضى  
الغافقي في طريقه متتبعا مجرى نهر الجارون ففتح بر دال ، واندفع  
شمالا في السهل المتسع الذي يحده شمالا نهر اللوار ، وجنوبا  
نهر الجارون ، ووصل الى مدينة بواتيه .

أصبح عجز الدوق أودو واضحا في مواجهة المسلمين ،  
فاستصرخ « شارل مارتل ، قارلة » حاجب قصر الميروفنجيين ،  
وكان صاحب الأمر والنهي في دولة الفرنجة .

لبي شارل النداء ، وكان قبلها لا يحفل بحركات المسلمين في  
جنوب فرنسة ، بسبب الخلاف الذي بينه وبين دوق أقطانيا الذي  
كان سببه طمع شارل بالدوقية ، وبذلك توحدت قوى النصرانية  
في غاليا للوقوف في وجه المسلمين ، ورحب شارل بالفرصة ليسيظ  
تفوزه على أقطانيا وأراضيها الواسعة ، بعد أن شعر بالخطر  
الإسلامي ، حين غزا المسلمون بورجونيا ، وهي داخلة في بلاده ،  
وصعدوا حتى قاربوا اللوار (١) .

اجتمعت الفرنجة الى شارل مارتل ، وقالت له : ماهذا الخزي

---

(١) فجر الاندلس ، ص : ٢٦٧ .



الباقي في الأعقاب !؟ كنا نسمع بالعرب ونخافهم من مطلع الشمس،  
حتى أتوا من غربها ، واستولوا على بلاد الأندلس ، وعظيم ما فيها  
من العدة والعدد ، بجمعهم القليل وقلة عدتهم ، وكونهم لا دروع  
لهم • فأجابهم :

« الرأي عندي ألاّ تعرضوهم في خرجتهم هذه ، فانهم كالسيل  
يحمل ما يصادفه وهم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تغني عن كثرة  
العدد ، وقلوب تغني عن حصانة الدروع ، ولكن أمهلوهم حتى  
تمتلىء أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في  
الرئاسة ، ويستعين بعضهم على بعض ، فحينئذ تتمكنون منهم  
بأيسر أمر • »

قال المقرئ : فكان والله كذلك ، بالفتنة التي طرأت بين  
الشاميين والبلديين<sup>(١)</sup> ، والبربر والعرب ، والمضريّة واليمنية ،  
وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من  
الأعداء<sup>(٢)</sup> •

وأنهى شارل حروبه مع السكسون والبافارين ، وتنبه لفتوح  
المسلمين الذين اجتاحتهم معظم أقطانها ، وأدرك أنهم لن يقفوا عند  
حد اخضاع أقطانها •

\* \* \*

---

(١) المقصود بالبلديين : العرب القدماء الذين جاؤوا من الحجاز ، وأسهموا في  
الفتح الاول ، واستقروا في جنوب اسبانيا ، وعرفوا بالبلديين تمييزا لهم عن الهجرات  
التي طرأت على الأندلس بعد ذلك •

(٢) نفع الطيب ، ج : ١ ، ص : ١٢٩ •

## قائد بلاط الشهداء عبد الرحمن الغافقي

✦ قائد رشحه إيمانه وامكاناته القيادية،  
وعبقريته الحربية للقيادة ، ولكن الظروف  
لم تتكافأ مع عبقريته العسكرية .

★ أبو سعيد عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم  
الغافقي ، نسبة الى غافق ، وهي قبيلة من الأزد ، وقيل : بل هو  
غافق بن الحارث بن عك<sup>(١)</sup> بن الحارث بن عدنان .

تابعي من أفذاذ الرجال ، جمع الى الشجاعة والاقدام العدل  
في الأحكام ، والسهر على مصالح العباد ، وبعد النظر في السياسة،  
ويذكر ابن بشكوال أنه روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

أخباره قليلة جداً ، لا تتناسب مع الدور الكبير الذي قام به  
في تاريخنا الإسلامي ، ويبدو أن كارثة بلاط الشهداء ، التي ختمت  
حياة الغافقي ، كانت أليمة الوقع عند مؤرخينا ، فأوجزوا الكلام  
عنها قدر الطاقة ، وأصاب الإيجاز سيرة عبد الرحمن ، فتعمدوا  
الاكتفاء بمجرد الإشارة اليه ، مع عظيم تقديرهم له<sup>(٢)</sup> .

رحل الى افريقية ، ثم وفد على سليمان بن عبد الملك

---

(١) عرف بالعكي نسبة الى بني عك ، وغافق بطن منهم .

(٢) فجر الاندلس ، ص : ٢٦١ ، الاعلام ، ج : ٤ ، ص : ٨٤ - ٨٥ ، وتاريخ

غزوات العرب لارسلان .



— الخليفة الأموي — بدمشق ، وعاد الى المغرب ، فاتصل بموسى ابن نصير وولده عبد العزيز ، أيام اقامتهما في الأندلس .

ظهرت براعته في انقاذ الجيش الإسلامي من المطاردة ، عقب مقتل السمح بن مالك الخولاني في طولوشة ، وتولى على أثر معركة طولوشة « تولوز » سنة ١٠٢ هـ ، فانتقل الى أربونة ، فانتخبه المسلمون أميراً عليها ، وأقره عامل افريقية<sup>(١)</sup> ، ولما نشأ خلاف بينه وبين عنبسة بن سحيم ، عزل عبد الرحمن ، وولي عنبسة مكانه . فصر عبد الرحمن مدة يغزو مع الغزاة ، الى أن ولاه هشام بن عبد الملك إمارة الأندلس سنة : ١١٢ هـ ، فطاف أقاليم الأندلس ، ينظر في مظالم الناس ، ويقتص من القوي للضعيف ، ويعزل الولاة الذين حادوا عن جادة الاستقامة ، ويستبدل بهم ولاة معروفين بالعدل والنزاهة ، متأهباً لفتح بلاد الغال أو غاليا : Gallia — Gaule ، والتي عرفت عند المسلمين باسم : « الأرض الكبيرة » ، وهي فرنسة حالياً .

دعا عبد الرحمن المسلمين من اليمن والشام ومصر وافريقية الى مناصرته ، فأقبلت عليه الجموع المؤمنة المجاهدة ، فازدحمت بهم قرطبة قاعدة الأندلس أيام عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> .

جمع القلوب ، وساد الوئام في جيشه ، واستقبلت الأندلس عهداً جديداً بعد فتن ، فقد كان عادلاً حليماً نقياً ، رحب به جميع سكان الأندلس ، حاكماً بارعاً ظهرت مواهبه الحربية في

(١) عامل افريقية كان يعينه الخليفة ، ويعين هو عادة والي الأندلس .

(٢) وهو الذي بنى قنطرة قرطبة المشهورة في سعتها وعظمتها وأبراجها .

غزوات غالبا ، حكيمًا قديرًا في شؤون الحكم والادارة مصلحًا  
مستنيرًا ، يضطرم رغبة في الاصلاح ، بل كان بلا ريب أعظم ولاية  
الأندلس ، وأقدرهم جميعاً •

رحبت الأندلس قاطبة بتعيين عبد الرحمن واليا عليها ، فعامل  
المسلمين والمسيحيين على السواء كما أمر الإسلام من التسامح  
وحفظ الأموال والأعراض ، ولم يخرج قط في معاملة المسيحيين  
عن العهود والعقود معهم •

وأحبه الجند لعدله ورفقه ولينه ، وكان يمرن المجاهدين على  
استعمال السلاح ، ويثير فيهم نخوة القتال ، وجمعت هيئته كل  
القبائل ، لأنه كان سليما من النزعة العصبية التي ابتلي بها غيره ،  
ومن دلائل ذلك ، أن عبيدة بن عبد الرحمن القيسي عامل افريقية ،  
المتعصب لقيسيته ، أقامه على الأندلس وهو يماني من غافق ، لذلك  
ساد الوئام في الادارة والجيش ، وعني باصلاح الجيش ، وتنظيمه  
عناية خاصة ، فحشد الصفوف من مختلف الولايات ، وأنشأ فرقاً  
جديدة مختارة من فرسان البربر ، بإشراف نخبة مؤمنة من الضباط  
العرب ، وحصن القواعد والثغور الشمالية •

وصف الحميدي عبد الرحمن بالصلاح ، والسيرة الحميدة ،  
والعدل وحبه الشديد للجهاد في سبيل الله<sup>(١)</sup> ، وتحدثت المصادر  
الأوربية النصرانية عن شجاعته النادرة ، ومقدرته الحرية العظيمة •  
وأورد ابن عبد الحكم رواية تدل على أن عبد الرحمن كان

---

(١) جذوة المقتبس ، ص : ٢٧٤ •



مسلماً مسلم الإيمان ، حريصاً على أصول الشريعة ، لا يحفل في  
سبل ذلك بغضب من ييدهم الأمر ، يقول ابن عبد الحكم بعد  
الأمير عن إحدى غزواته ، وكان فيما أصاب عبد الرحمن رجلاً  
مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد ، فأمر بها فكسرت ، ثم أخرج  
الحسن . وقسم ذلك في المسلمين الذين كانوا معه . فبلغ ذلك  
عبد بن عبد الرحمن القيسي عامل إفريقية ، فغضب غضباً شديداً ،  
وكتب إلى عبد الرحمن كتاباً يتوعده فيه ، فكتب إليه عبد الرحمن  
مجيباً : « إن السموات والأرض لو كانتا رتقاً لجعل الرحمن  
المسلمين منها مخرجاً (١) » .

رضي الله عن عبد الرحمن وأرضاه ، لئن كان عنسة من طراز  
معه من نافع ، تستهويه الغارات البعيدة المدى ، والضربات المدوية ،  
فإن عبد الرحمن من طراز حسان بن النعمان ، وطارق بن زياد ،  
من مناز الفاتحين الذين يرسمون خطة الفتح الثابت المستقر ،  
« وحمدون إلى مراكز المقاومة الفعلية ويهاجمونها ، لكي يتم  
الفتح . وتدخل البلاد في حوزة الاسلام (٢) » .

ورحم الله شهيد بلاط الشهداء ، شهيد بواتيه ، رحم الله  
الأمير عبد الرحمن الذي رشحه إيمانه وامكاناته القيادية ، وعبقريته  
الحربية إلى الامارة ، ولم يرشحه نسب أو حسب ، ولكن الظروف  
لم سداً مع تلك العبقرية ، وستبقى سيرته ، وسيبقى ذكره في  
الحالدين ، مع الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله .

(١) فتوح البلدان ، ص : ١١٧ ، وفي « الكامل في التاريخ » ، ج : ٤ ، ص : ٢١٥ .

(٢) فجر الاندلس ، ص : ٢٦٣ .

# المسلمون قبيل المعركة

✱ المسلمون في جهادهم لهم نيات تغني  
عن كثرة العدد ، وقلوب تغني عن حصانة  
الدروع .

فكر عبد الرحمن الفاققي ، وخاف من لهو جنده بالغنائم  
الكثيرة ، التي كانوا يجرونها في أثناء زحفهم ، وفكر جدياً في  
حملهم على تركها في أرضها ، لئلا تشغلهم عن القتال ، فتكون وبالاً  
عليهم ، لكنه لم يشأ وهو في مأزق كذلك المأزق أن يغيظهم ويخسر  
بذلك توحد قلوبهم ، وبقي واثقاً بشجاعتهم ويمن بقيته في القتال .

لقد رأى عبد الرحمن وأولو الحزم من زملائه ، أن يحملوا  
الجند على ترك هذه الأثقال ، والاقتصار على أسلحتهم وخيولهم ،  
ولكنهم خشوا التمرد أو أن يثبطوا عزائم الجند ، واستسلموا  
لرأي المستهترين ، واعتمد عبد الرحمن على شجاعة جنده ، وحسن  
المالعة المستمر (١) .

والحق أنه عندما وقف المسلمون في وجه الفرنجة ، لم يكن  
سكان أوربة يتمنون خسارة المسلمين وهزيمتهم ، لقد تمنى قسم  
كبير من سكان غاليا انتصار المسلمين ، بعدما سمعوا بتحسين حال  
الإسبان بعد دخولهم في حوزة المسلمين الفاتحين ، حيث انتقلوا من

(١) مواقف حاسمة ، ص : ٦٣ . لعل الفاققي سمح بنقل الغنائم مع الجيش ،  
عسى أن يكون ذلك حافزاً له للدفاع عنها ، بعد أن صارت كثيرة ، يستقتل أصحابها في  
سبيل الحفاظ عليها ، ولكن الجند أخطؤوا عندما دافعوا عنها وحرصوا عليها ، أكثر  
من دفاعهم عن النصر وحرصهم عليه .



**الحرر والصرائب المالية الباهظة ، الى الحرية والعدالة والطمأنينة  
على ارواحهم وأموالهم ..**

★ موازين القوى :

١ - عدد جيش الفرنجة أكبر من جيش المسلمين : فبينما كان الفرنجة سيلا من الجند المتدفق ، لم يكن الجيش المسلم يزيد من سبعين ألف مسلم في أصح الروايات ، وقد يصل الى مائة ألف في روايات أخرى ، كان جلهم من البربر ، لأن كثيرين من عرب الأندلس ، كانوا إذ ذاك في شغل بما انصرفوا اليه من المازعات العvisية من ناحية ، ومن الاستقرار في القرى والاشتغال بالزرع من ناحية أخرى ، وهذا لا يعني عدم وجود أعداد من العرب مع الفاطقي ، فقد كان معه معظم اليمينيين لأنه يمني ، ولأن غالبه سكان نواحي إقليم سرقسطة كانوا يمنية ، ومنهم كانت غالبه العرب المحاربين في ناحية جبال البرانس ومايلها (١) .

٢ - موقف الفرنجة الاستراتيجي أجود وأفضل ، وبخاصة مددهم للسواقي ، وألفتهم للتحرك فيها ، ومعرفة دروب المنطقة ، مع مدده على القتال في جوشات مطير ، تعودته جسومهم ، وأرض موطنه ألفتها خيولهم .

٣ - الفرنجة مددهم - البشري والتمويني - قريب ، بينما المسلمون على بعد يجاوز ألف كيلو متر عن عاصمة الأندلس ، كما أنهم بعيدون مسافات شاسعة جداً عن مركز الدولة الأموية ، ويكفي أن يتصور الإنسان المسافة بين دمشق وجبل طارق وجبال البرانس ونهر اللوار ، ليعلم أن الجيوش الإسلامية المحاربة في نواحي غالبا كانت تقوم في الواقع بمغامرة أقرب الى قصص

(١) جبر الأندلس ، ص : ٢٦٢ .

الاساطير منها الى حوادث التاريخ ، لأنها كانت في وضع لا تستطيع معه أن تحصل على امدادات من الجند ، أو العتاد من مركز الخلافة . ولا من عامل الأندلس في قرطبة ، لأن عدداً عظيماً من عرب الأندلس لم يستقروا في العاصمة ، بل تفرقوا في نواحي الأندلس ، وعمل بعضهم بالزراعة ، فكان الوالي لا يستطيع استخدام أجناد منهم على عجل ، وكانت العصابات التي حاربها الإسلام قد توزعتهم ، وفرقت بينهم ، فلم يعد من الميسور لعامل لأندلس أن يجمع قوات محترمة إلا من بني عصبته<sup>(١)</sup> .

ومع أن النقطة الأخيرة لم يكن لها أثرها الكبير في تكوين جيش الغافقي ، لأن الغافقي كان محبوباً لبعده عن هذه العصبية . بسبب إيمانه وفهمه السليم لمبادئ الدين الحنيف ، غير أن أثرها ظهر بعد مقتله ، فقد تفرق الجيش ، واختلف فيما بينه اختلافاً كبيراً . أدى الى انسحاب المسلمين جلة . ولو أنهم كانوا يبدأ واحدة لارتدوا بعد استشهاد قائدهم الى أقرب مركز لهم . ليستجمعوا قواتهم . ويضموا صفوفهم من جديد ، كما فعلوا بعد الهزائم التي جرت عليهم في إفريقية .

#### ٤ - الغنائم التي حملها الجيش الاسلامي :

بالفت المراجع النصرانية في وصف أعمال السلب والنهب التي قام بها المسلمون ، ولكن الحكم المنطقي السليم ، أن المسلمين حملوا بعض الغنائم ، ولو أحسنوا لبغثوا نفرا منهم ليودعها « أربونة » أو « برشلونة » ، حتى يطمثوا عليها ، وتخلو أيديهم للعمل المقبل ، وينتهي اشتغال فكرهم بها ، ولكنهم حرصوا عليها

(١) فجر الأندلس ، ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ .



أكثر من حرصهم على النصر ، وانقلبت الغنائم الى ثقل يرهقهم ،  
أضعف حركتهم ، فكانت الغنائم سبب هزيمتهم ، لأن عدوهم  
— وقد استشعر هذا الحرص منهم — عرف كيف يستغله لصالحه ،  
فكان السبب القريب المباشر للهزيمة .

ورفض أحد المؤرخين المعاصرين ، بدافع من غيرته على  
الاسلام ، أن يجعل الغنائم سبب الهزيمة المباشر ، وقال : كيف  
يحمل الجيش الاسلامي هذه الغنائم الثقيلة المعوقة ، وهو أمر لم  
نألفه منه في حملاته السابقة في الارض الكبيرة . وهو يعلم مقدماً  
أنه ذاهب للقاء حاسم ينتهي فيه نشر الاسلام وإعلاء كلمة الله في  
تلك البقاع . ولو حدث اجتماع مثل هذه الغنائم لأودعها مدناً سبق  
له فتحها ، فكيف يجتمع ذلك له وقد مر في فتوحه — قبل هذه  
الحسلة — في أراضٍ فقيرة وأهلها معدمون . في حين لم نسع أو  
نألف له ذلك الاهتمام والاسلوب في عمليات جهاده — وهي  
كثيرة — في الأرض الكبيرة قبل الغافقي<sup>(١)</sup> ؟

ونحن نرى أن الخطأ أو الخلل إن وقع يجب أن يذكّر  
كسا هو للعة والعبرة . فخلل بلاط الشهداء هو خلل أحد يتكرر  
في سهول « تور — بواتيه » ، وهل يجرؤ مؤرخ أن ينفي مخالفة  
الرمادة لأمر النبي ﷺ ، ونزولهم لجمع الغنائم في أحد ؟

أما مرورهم في أراضٍ فقيرة الثروة . وأهلها معدمون نتيجة  
لفقر أرضهم . فهذا خطأ جغرافي . فجنوب فرنسة من الأراضي  
الخصبة ، خصوصاً على ضفاف نهر الكارون وفروع نهر الوار ،  
ومعروف أن مدن المنطقة غنية بنفائسها !

---

(١) التاريخ الاندلسي . ص ١٩٨ - ١٩٩ .

# الفرنجية

## سار مارل

✱ جنود اجلاف يعاربون شبه عراة ،  
يتشعون بجلود الحيوانات المفترسة ، يرسمون  
للوحشية البهائية صورا مزعجة حمراء .

الفرنجية : شعبة من أولئك البربر الذين غزوا روما ، وتقاسموا  
تراثها ، وحلوا في ألمانيا وفرنسة . وتعني كلمة « الفرنجية » الحر ،  
وربما كان هذا الوصف يدل على الأقوام التي كانت تنزع الى  
الاستقلال عن سلطة روما ، والخروج عن طاعتها .

حكم منهم البيت الميروفنجي من سنة : « ٤٨١ م وحتى  
٧١٦ م » ، وكان الحكام الميروفنجيون في آخر حياتهم كما وصفهم  
المؤرخ أينهارت : إنه لم يكن للملك شيء في المملكة سوى  
اسمه ، وذوائب شعره المرخاة ، ولحيته الطويلة ، حتى إذا جلس  
الواحد منهم على عرشه ، أخذ يلهو بإدارة شؤون الدولة لهو  
الصبية ، فيستقبل الرسل الوافدين عليه من مختلف المسالك ،  
ويكلمهم بكلمات يتلقنها ليتفوه بها صاغرا مأمورا ، ولم يكن للملك  
ما يصح أن يدعيه لنفسه سوى ضيعة صغيرة فيها مسكنه الضئيل  
حجبه ، وحاشيته القليل عددها ، فاذا اقتضى الأمر سفرا ، ركب  
عربة مثل عربات المزارعين من أهل الريف ، تجرها الأبقار ، ويسوقها  
فلاح من الفلاحين ، وإذا جاء الى القصر ، أو ذهب الى الاجتماع  
السنوي العام ، سار موكبه في هذه الهيئة ، على حين أصبح رئيس  
البلاط مسيطراً في شؤون الادارة والحكم ، مهيمناً على جميع  
المسائل السياسية الداخلية منها والخارجية<sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ أوربة العصر الوسطى ، ناليف : هـ ١٠٠٠ ل فيشر ، الطبعة الثالثة ،

دار المعارف بمصر ، صفحة : ٧٠ .



لقد أحجم الفرنجة عن التخلص من البيت الميروفنجي ، لظنهم أنهم مقدسون ، ولا جناح عليهم مما ينغمسون فيه من المنكرات ، فهم منحدرون من ميروفينوس ، الذي يرجع أصله الى إله البحر العظيم ، حسبما ورد في أغاني الفرنجة القديمة !! إن حالة من القدسية حاطت تلك الأسرة الفرنجية زمنا طويلا قبل ظهور المسيحية بينهم .

ثم بدت في الأفق الأسرة الجرمانية الكارولنجية . وموطنها « استراسيا » - بلجيكا حاليا - ، وأهم شخصيات هذه الأسرة « بين » و « دوق أرنوف » ، ثم ما لبث بين أن أصبح رئيساً للبلاط ، أو محافظ القصر ، سنة ٦٢٢ م ، فزوج ابنته لابن أرنولف ، فكان من نتيجة المصاهرة : « بين الثاني »<sup>(١)</sup> ، الذي تولى رئاسة البلاط في اوستراسيا « بلجيكا » سنة ٦٨١ م ، وهذا هو أبو شارل مارتل أو « قارلة » والجد الأكبر للإمبراطور شارلمان ، وشارل هذا اتخذ الألمان والفرنسيون بطلاً قومياً ، دون أن يكون في الحقيقة ألمانياً أو فرنسياً . فهو أوستراسي جرمانى لحما ودما .

انزعجت أوربة انزعاجاً صارخاً لتقدم الجيوش الاسلامية ، وفزع زعماء المسيحية ، فأرسلوا صيحاتهم الصليبية في آفاق أوربة ، وبذلوا أقصى ما يقدرون عليه لإشعال نار الكراهية للإسلام ، وتأکید العداوة لرجاله ، وكان ملك الفرنجة ضعيفاً عاجزاً كما أسلفنا ، بينما يتولى حاجب القصر « شارل مارتل . أو قارلة » قيادة أموره ، فتجمع حوله الصليبيون ، وقدموه قائداً للنصرانية<sup>(٢)</sup> .

---

(١) بينا ابنة بين تزوجت انسجيزول . فكان بين الثاني أو داره .

شارل مارتل .

(٢) « مع الأبطال » ، د . د . محمد رجب سومي ، ص : ٨٩ .

وشارل مارتل هذا ، أو شارل المطرقة ، أو قارلة ، تولى الحكم من دون الملوك الميروفنجيين ستا وعشرين سنة ، وقال لقب المطرقة لشدة ما أنزل بالكنيسة الكاثوليكية في غاليا من صارم الضربات التي استلزمها فساد رجال الدين في عصره ، على أن بعض السر فيما استقام له من الفتوح ، إنما يرجع الى جنوده الفارعين من الاوستراسيين الذين لم تفسدهم حياة المدن .

ولما بلغ شارل مارتل نبأ قدوم الجيش الاسلامي اتخذ الأهبة ، فلما قدم أودو حاكم دوقية بردال « بوردو » يستغيث ، لبي شارل النداء<sup>(١)</sup> ، وأسرع للقاء المسلمين بنفس مشرّبة للظفر ، وجنود متطلعة للقتال .

ولم يكتف شارل مارتل بما لديه من الفرصجة في غاليا ، بل بعث يستقدم جنداً من حدود الراين . . فأتته فجدات من جنود أجلاف أقوياء ، يحاربون شبه عراة في مثل هذا الجو البارد ، يتشحون بجلود الذئاب والنمور ، وتنسدل شعورهم الجعدة فوق اكتافهم العارية ، يرسمون للوحشية البدائية صوراً مزعجة حمراء .

لقد اجتمع لشارل مارتل بذلك جيش كثيف ، قادر على الثبات والمنازلة ، ضاقت بجموعه الكثيفة سهول فرنسة ، فتقدم الى شمال بواتيه في اتجاه تور . وفي تور التقى جيشان يختلفان عَدَدًا وعُدَدًا ، ولغة ودينًا ، وهدفًا وحضارة .

---

(١) اسنفاث أودو بخصمه شارل مفضلا ان يجتاح الفرنجة املاكه ، على ان ينتزعها منه المسلمون ، ولبي شارل النداء ، لا حبا بأودو ، ولكن طمعا في الاستيلاء على اراضيه ، وبالفعل فقد استولى عليها بعد المعركة ، كما لبي شارل خوفا من غزو المسلمين لبلاده ، وقد باتوا على مقربة منها .



# المعركة بلاط الشهداء

★ قال رينو : « إنه بلف حماسه  
المسلمين في تلك الغزوة ، ان بعض المؤرخين  
شبههم بريح صرصر تقتلع كل ما حاء امامها ،  
او بسيف ماض يقطع كل ما يصادفه » .

## ★ موقع المعركة :

أصبح الأقوال ان المعركة كانت على مقربة من طريق روماني  
يصل شاتلرو Chatellerault ببواتيه . على مسافة نحو  
عشرين كيلو مترا من بواتيه . في الموضع الذي يسمى اليوم :  
Moussais — la Bataille . وأكد ذلك اكتشاف سيوف عربية  
في الحفريات التي تمت حديثاً في الموقع المذكور<sup>(١)</sup> .

وتسمى المعركة بالأسماء التالية : البلاط . بلاط الشهداء ،  
تور ، بواتيه .

---

(١) ويستدل على ذلك من الآثار المحفوظة في دير « مواساك » ، انضا .

وبلاط هنا لا يعني الطريق المبلط . لكن المراد بلفظ « البلاط » في الأندلس « القصر » . أو حصن حوله حدائق تابعة له . فيقولون : « بلاط مغيث » و « بلاط الحر » ، و « بلاط يوسف » . . . . ويقصدون بذلك قصور أولئك الرجال .

فبلاط الشهداء معناها : « قصر الشهداء » ، مما يفيد أن مكان الواقعة كان بجوار قصر ، أو حصن كبير ، ربما كانت له علاقة كبيرة بحوادث المعركة (١) .

وخلاصة القول : إن المعركة حدثت قرب تور ، و انتهت قرب بواتيه .



قلنا ذكر التاريخ معركة لها ما بعدها مثل هذه المعركة ، فكان المسيحيون من جهة يذبون عن دياتهم وأوضاعهم وأملاتهم وأنفسهم . وكان المسلمون من جهة ثانية على اعتقاد راسخ أنهم يقاتلون في سبيل الله ، لنشر عقيدة ، ونشر إخاء ومساواة ، لتعم رسالة التوحيد أوربة كلها ، خلا من كان منهم مهتماً بحفظ الغنائم التي في أيديهم ، وخوفهم عليها من الضياع ، ولم تكن الغنيمة هدفاً للجميع ، لو كان الهدف غنيمة فحسب ، لعادوا بما أثقلوا به قبل بواتيه . وبخاصة أنهم عرفوا أن شارل مارتل قد جمع جسوعه وألب كل أوربة عليهم ، فالهدف ليس غنيمة وقد تحققت . بل فتح بمعناه الكامل .

---

(١) نحر الأندلس . ص : ٢٧١ .

النقى الجمعان في ١٢ أو ١٣ تشرين الاول « اكتوبر » سنة ٧٣٢ م . اواخر شعبان سنة ١١٤ هـ رابط كل منهما أمام الآخر مدة ثمانية أيام . وكان المسلمون هم الذين بدؤوا القتال . وكان الفرنجة قادمين من حروب ابتسم لهم فيها النصر . فكانت حماستهم تغلي مراجلها ، ويزيد فيهم وجود شارل مارتل . الذي كلما ظهرت ثلثة خف وسدها بنفسه<sup>(١)</sup> ، حماسة وعزيمة .

هاجم المسلمون بخفة حركاتهم على سروات الخيل هجمات شديدة . حاولوا بها خرق صفوف الفرنجة . غير أنهم كانوا يجدون أمامهم صفوفًا أشبه بالجدران في ثباتها ، فكانت تتكسر عليها حصلات المسلمين .

استمر القتال أول يوم طول النهار ، ولم يحجز بين المسلمين والفرنجة سوى الظلام . وفي اليوم التالي تجدد القتال ، ورخصت النفوس في سوق المنايا . وحمل المسلمون حصلات مستميتة . إذ لم يكونوا ينتظرون من الفرنجة مثل هذا الثبات . ولكنهم لم ينالوا منهم وطراً . وبينما كانوا يضاعفون حصلاتهم . إذ أغارت فرقة من الفرنجة على معسكر المسلمين . الذي فيه متاعهم .

ولخص الدكتور حسين مؤنس المعركة بما يلي<sup>(٢)</sup> :

تدل التفاصيل التي لدينا على أن كلا من الفريقين كان يحس

---

(١) من خطط خالد بن الوليد في معاركه ، بعد كان لعائد كسبه سريره الحركه مدودها بنفسه دائما ، فكلما حدث حرق سده ، وأبنا رفع صمغ أو حبل فواد .

(٢) فجر الاندلس ، ص : ٢٧٤ .



خطورة هذا الصراع الحاسم . فلم يشتبك الجيشان في المعركة الحامية إلا بعد بضعة أيام . ظلاً خلالها يتناوشان في اشتباكات محلية ، ثم اشتبكا بعد ذلك في قتال عنيف ، واجتهد الفرنجة ومن معهم من الألمان والسوييف والسكسون في اختراق خطوط العرب - المسلمين - يومين متتاليين دون نتيجة ، وقد بذلوا أقصى ما استطاعوا من جهد ، وهجم مشاتهم وفرسانهم على المسلمين هجوماً عنيفاً بالحرا ب ، ولكن هؤلاء ثبتوا ثباتاً فريداً ، بل بدا في بعض الأحيان - قرب مساء اليوم الثاني على الخصوص - أن المسلمين أخذوا يتفوقون على أعدائهم ، ثم حدث بعد ذلك أن اندفعت فرقة من فرسان الفرنجة ، فاخرقت صفوف المسلمين في موضع ، وأفضت الى خلف الصفوف حيث كان المسلمون قد أودعوا غنائمهم ، وكانت شيئاً عظيماً جداً ، فريح الجند الإسلامي المحارب . وخشي الكثيرون من أفرادهم أن يستولي عليها هؤلاء الفرنجة ، فالتفت بعضهم وعادوا الى الخلف ليعيدوا الأعداء عنها ، وهنا اضطربت صفوف المسلمين ، واتسعت الثغرة التي نفذ منها الفرنجة ، فاندفعوا فيها في عنف وقوة زلزلت نظام القوات الإسلامية ، وحاول عبد الرحمن الغافقي جهده أن يثبت جنده ، ويعيد نظامه أو يصرفه عن الهلع على الغنائم فلم يوفق ، وأصابه سهم أودى بحياته ، وكان ذلك نذير الشؤم على جيش المسلمين ..

وصبر المسلمون حتى أقبل الليل ، فانتهمزوا فرصة الظلام ، وتسلموا متراجعين الى الجنوب على عجل ، وكان ذلك في العشرين

من شرين الأول « اكتوبر » سنة ٧٣٢ م ، أوائل شهر رمضان  
سنة ١١٤ هـ .

وحينما أسفر الصبح نهض الفرنجة ، فلم يجدوا من المسلمين  
أحدا . فتقدموا على حذر من مضارب المسلمين ، فاذا هي خالية  
منهم وقد فاضت بالغنائم والأسلاب والخيرات ، فظنوا أن في الأمر  
خدعة ، وتريثوا قبل أن يجتاحوا المعسكر ويتهبوا مافيه ، ولم  
يفكر أحد منهم في تتبع المسلمين ، إما لأنهم خافوا أن يكون العرب  
— المسلمون — قد نصبوا لهم بهذا الانسحاب شركا ، أو لأن  
« شارل مارتل » تبين مانزل بالمسلمين . فرأى أنه يستطيع العودة  
الى الشمال مطمئناً الى أنهم انصرفوا عنه وعن بلاده .

اندفع المسلمون في تراجعهم نحو الجنوب مسرعين ، واتجهت  
جموعهم نحو أربونة ، وحينما أحسوا أن أحدا من النصارى  
لا يتتبعهم تمهلوا في سيرهم ليستجمعوا صفوفهم من جديد .

وذكرت المصادر النصرانية الأوربية : أن فرقا من المسلمين  
شردت عن الجيش فوقعت في الأسر . وهذا خطأ واضح ، فكيف  
تؤسر فرق من الجيش المسلم ، ولم يلحق بهم عدوهم ؟ ما هذا إلا  
من تخيلات المؤرخين النصارى ، ليظهروا عظمة نصرهم واندحار  
المسلمين .



# نتائج المعركة

✦ « لو انتصر العرب في تور - بواتيه ،  
لتلى القرآن وفسر في اكسفورد وكمبردج » .  
حسبون

تعتبر معركة بلاط الشهداء معركة فاصلة في التاريخ العالمي ،  
فقد ترتب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حد كبير ، قال جيبون :  
« لو انتصر العرب في تور - بواتيه ، لتلى القرآن وفسر في  
اكسفورد وكمبردج » .

وقارن فشر في كتابه « أوربة في العصور الوسطى »<sup>(١)</sup> بين  
انتصار الفرنجة على المسلمين ، وبين عدم استطاعة المسلمين فتح  
القسطنطينية عام ٧١٧/٧١٨ م ، فقال : لو انتصر المسلمون في فتح  
القسطنطينية ، لوجدوا بين مسيحي شرق أوربة مجالاً للدعوة  
الإسلامية ، وذلك بالقياس إلى نجاح العثمانيين في القرن الخامس  
عشر ، لذلك يسهل تخيل نجاح المسلمين الديني قبل العثمانيين  
بسبعة قرون ، حين كانت الشعوب البلقانية والروسية لا تفقه من  
المسيحية إلا نزرأ يسيراً ، ولا تدري من النظم والمعتقدات الدينية  
إلا قليلاً ، على عكس غرب أوربة حيث اصطدم المسلمون بقوة

---

(١) أوربة في العصور الوسطى ، صفحة : ٦٦ - ٦٧ .



مسيحيه منظمة اركانها على شيء كثير من تراث الامبراطورية الرومانية وجبروتها القديم ، ولو نم لهم النصر فرضاً في تور ، لقتل بينهم وبين فتح فرنسة وتحويلها الى الاسلام عقبات دونها عقبات .

وهذا كلام مرفوض تاريخياً ، لأن قسماً كبيراً من سدان أوربة تمتوا انتصار المسلمين في بواتيه ، ليعمهم الرفاه . والخير . والحرية . . كما عم اسبانية بعد الفتح الاسلامي .

ومن ناحية ثانية ، في رأينا هذه المقارنة خاطئة . ومنبعها اعتزاز المؤرخين الأوربيين الصليبيين بنتيجة بواتيه . علماً أن الامبراطورية الرومانية الشرقية - خصوصاً بعد سبعة قرون - لم تقل حضارة وتنظيماً عن نظيرتها الغربية ، وإن الامبراطورية الفارسية مثلاً لا تقل عنهما حضارة وتنظيماً . وهذا مشهور لها تاريخياً ، ومع ذلك كان الفتح الاسلامي خلاصاً لشعوبها ، وتقبّلت شعوبها ، ولم تر فيه مبدأ غريباً أجنبياً عنها . وتحولت بعد الفتح الى الاسلام ، وما زالت تعتر به الى يومنا هذا ، والتاريخ أول من يعلم أن عدداً عظيماً من العلماء الذين قاموا لشرح وتفسير ونشر الاسلام وحضارته كانوا من الشعوب التي فتحت بلادهم .

هذا . . ولم تحل صدمة بلاط الشهداء دون إعادة الكرة على فرنسة ، إذ أن الهزيمة وحدها لم تكن لتوقف العرب عند هذا الحد ، بل كانت لهم بعد كرات ، اعقبها النصر والفتح - كما سنرى في الفصل التالي - غير أن أهمية بلاط الشهداء ترجع الى

أن المسلمين ارتدوا عن فرنسة . ولم يحاولوا إخضاعها إخضاعاً تاماً ، فضلاً عن أن الأحداث في هذا الجزء الغربي من العالم الاسلامي ارتبطت الى حد كبير بالأحداث التي وقعت في مركز الخلافة في شرقيه .

### ★ ومن نتائج المعركة :

١ - بالغ المسيحيون الأوروبيون في تقدير عدد القتلى من المسلمين ، حتى أوصلهم « فيشر » مثلاً الى ٣٧٥ ألفاً ، نقلاً عن بولس الشماس<sup>(١)</sup> ، وهذا بطبيعة الحال غير معقول ، فليس من اليسير وقتذاك حشد مثل هذا العدد ، أو ما يقاربه ، على كثرة الحروب في ذلك الوقت ، فضلاً عن صعوبة التسوين والمواصلات .

والجيش الاسلامي انسحب عند حلول الظلام ، وصمد حتى عند خرق صفوفه واستشهاد قائده العظيم عبد الرحمن الغافقي ، ونحن نعلم أن أشنع تمزيق للجيش ، وأكثر الدماء إراقة ، وأكثر الرجال أسراً لا يقع حين التحام الصفوف في المعركة وجهاً لوجه ، وإنما حين الانسحاب الكيفي ، حين الفوضى والذعر اللذين يصاحبان الفرار .

وذكرنا في المقدمة أن رهبة الافرنج من الجيش الاسلامي ظهرت في حذر الفرنجة واحجامهم عن مطاردة المسلمين . وتوجسهم من أن يكون انسحاب المسلمين خديعة حربية . وخطه مبيتة . فلو أن الجيش الاسلامي انتهى الى أنقاض - كما تصور الروايات

---

(١) فيشر ، تاريخ أوربة في العصور الوسطى ، صفحة ٦٧ .

الصراخ الدنسيه — لبادر الفرنجة الى مطارده والاجهاز عليه .  
لان الاجهاز على المسلمين كان غاية شارل مارتل ، وذلك لئلا تقوم  
لهم قائمة في فرنسة « غاليا » ، ولكن جيش المسلمين كان ما يزال  
من القوة والكثرة الى حد يخيف العدو ويردّه .

٢ — أساء شارل مارتل الى أوربة ومنقلبها الحضارى .  
وكرامة انسانيتها بدافعه عنها لما سبغت حاتها . فلم يصبر  
المسلمون لتخلّصت أوربة من ظلماتها وجهالها واسبداها .  
وحطّت الاستغلال والاضطهاد . كما كانت سحلتص من عار  
محاكم التفتيش السوداء فيما بعد<sup>(١)</sup> .

فإن انتصار المسلمين في أية بقعة من هذا الكون . يعنى  
انتصار النور والمدنية والمساواة والحضارة . وهذا ما كان سيكون  
في فرنسة وأوربة جمعاء .

واسبانية — وهي أقرب بقعة من فرنسة — خير شاهد ، أما  
قال « ول ديورانت » في قصة الحضارة : « ولم تشهد بلاد الأندلس  
في تاريخها كله حكماً أكثر حزمًا وعدالة وحرية مما شهدته في أيام  
فاتحيها العرب<sup>(٢)</sup> » ؟!

٣ — اتهم المؤرخون الأوروبيون المسلمين بتخريب الكنائس  
والأديرة في فرنسة . وهذه الشبهة قالها فيليب حتي في كتابه

---

(١) التاريخ الأندلسي ، للدكتور الحبي ، صفحة ٢٠٢ .

(٢) راجع : الحضارة في الميزان ، لارنولد توينبي ، ص ٨٦ طبع  
في الباني الحلبي .



« تاريخ العرب » صفحة ٥٩٥ - ٥٩٦ ، قال حتي : وقد تقدم عبد الرحمن الغافقي فقطع سلسلة البرنه . ثم أخذ بوردو عنوة ، وأشعل النار في كنائسها ، وبعد أن أحرق الباسيليكا « الكنيسة » القائمة خارج أسوار بواتيه ، زحف شمالاً حتى جوار مدينة تور .

والثابت المعروف أن هدف المسلمين لم يكن حرق الكنائس والأديرة ، لأنه بمقارنة المسلمين بالشعوب التي كانت تسود غالبا في تلك الحقبة ، من فرنجة وقوط غربيين وشرقيين ، وبرجنديين ومن اليهم ، يتبين أن المسلمين كانوا أعظمهم حضارة ، وأبعدهم عن النهب والتخريب .

وقد أشارت النصوص التي وردت بالمراجع اللاتينية النصرانية الى أن الذين خربوا هذه الأماكن وغيرها هم الوند والوندال ، فجاء مؤرخو الكنيسة وقالوا إن المراد بهذه الألفاظ هم المسلمون ، وتابعهم « رينو » وغيره من المؤرخين المحدثين ، مما يدل على التعسف وعدم الدقة ، ولا سيما أن هذه التسميات بعينها ، أطلقت بعد ذلك على المجرمين الذين خربوا هذه النواحي زمن شارل مارتل وبيين وشارلمان ، ولو أن « رينو » عاد بعد ذلك وتشكك في أن المسلمين هم الذين قاموا بهذا التخريب . بل إن الفرنجة أنفسهم بقيادة عاملهم الأكبر شارل مارتل « قارلة » نهبوا الكنائس ، واستولوا على كنوزها وخربوها فيما بعد وقعة تور - بواتيه<sup>(١)</sup> .

---

(١) فجر الاندلس ، صفحة : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

واللحمه .. فإن الكنائس والأديرة التي تهدمت في فرنسا،  
ح - أحداً منها وفق ما يلي :

أ - إن عدداً من الكنائس والأديرة . وخصوصاً تلك التي  
ثابت مبنية خارج أسوار المدن ككنيسة مدينة تور مثلاً . كانت  
ولاعاً وحصوناً في حقيقتها ، وكان الفرنجة يقاتلون المسلمين من  
ورائها ، فليس بدعاً إذا هدم المسلمون بعضها في أثناء المعارك .

ب - كانت قبائل البرابرة الجرمان لا تزال إلى ذلك الحين  
على الوثنية . وكان القتال محتدماً بينها وبين خصومها من الفرنجة  
وسواهم ، فكانت تلك القبائل تعيش في غربي أوربه . وندمر كل  
شيء بما في ذلك الكنائس .

ح - كان شارل مارتل نفسه إذا هاجم أراضي خصومه  
ومنافسيه . لا يتحجب من تهديم الكنائس ، مع أنه كان مسيحياً .

د - وبما أن المؤرخين الأوربيين الأوائل كانوا قسماً  
ورهباناً ، فقد افترضوا على المسلمين . واتهموهم بأنهم كانوا يهدمون  
الكنائس والأديرة . تأليفاً للرأي العام المسيحي عليهم ، وكانوا  
أيضاً ينسبون إليهم هدم الكنائس التي كانت قد تهدمت على يد  
القبائل الوثنية ، وعلى يد شارل مارتل نفسه .

هـ - وزعم مؤرخو الفرنجة أن المسلمين هاجسوا ديراً كان  
فيه خمسمائة راهب فذبحوهم جميعاً . ولعمري إن خمسمائة راهب  
في دير - والأديرة في كل مكان معاقل وحصون طبيعية -  
لا يستطيع جيش كبير أن يبلغ إليه ، ثم إن ذبح خمسمائة راهب

لم يكن ميسوراً في زمن كانت الحرب فيه تعتمد على عدد المقاتلين، وعلى قوتهم البدنية ، ومناعة مراكزهم في الدرجة الأولى (١) . وعلى الاطلاق لم يُعْرَف عن المسلمين خلال فتوحاتهم الواسعة شرقاً وغرباً ، أنهم اعتدوا على أديرة ورهبان . إلا في أرض غاليا ، فقد جاءت قرائح المؤرخين الصليبيين بذلك بعد بلاط الشهداء !؟! ووجدوا بسبب انتصارهم آذاناً صاغية .

٤ - أسرع والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن وأرسل مدداً بقيادة عبد الملك بن قطن الفهري ، خلفاً لعبد الرحمن الغافقي ، ثم بعث بخبر الفاجعة الى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٢) وما فعله ، فأمره الخليفة بغزو فرنسة وأخذها بالسيوف من كل جانب .

توجّه عبد الملك بن قطن الفهري أول الأمر الى نواحي شالي الأندلس - كما سرى - وحصّن المعقل التي ما زالت بأيدي المسلمين ، وكانت « سبتمانية » في ذلك الوقت في فوضى واضطراب بسبب الحروب المتوالية ، وانسحاب المسلمين في بلاط الشهداء ، وحاول بعض زعمائها انتهاز فرصة هذه الاضطرابات وتوزيع البلاد فيما بينهم ، بعد أن تلاشى أمر الدوق أودو ، وأدى ذلك الى صراع بينهم ، مما جعل بعضهم يرتمي في أحضان المسلمين

---

(١) العرب والاسلام في الحوض الغربي ، ص : ١٣٣ - ١٣٤ ، عن غزوات العرب ، ص : ٧٢ - ٧٦ - ٨٠ - ١٠٧ - ١١٠ .

(٢) الخليفة الاموي العاشر ، من : ١٠٥ الى ١٢٥ هـ ، او : ٧٤٢ - ٧٤٣ م .



خشية وقوعهم تحت سلطة شارل مارتل « قارلة » ، او سلطة الدوق أودو<sup>(١)</sup> .

هـ - بقي أهالي جنوب فرنسة يكرهون الفرنجة رغم انتصارهم على المسلمين ، لأن الفرنجة في نظرهم برابرة ، على حين أن أهالي جنوبي فرنسة تشبعوا بالحضارة الرومانية ، وكان هناك خلاف جوهري بين جنوب فرنسة وشمالها ، فبينما تسود الجنوب حضارة البحر المتوسط اللاتينية والبيزنطية ، تسود الصبغة الجرمانية شمالي فرنسة ، وهذا سر عدم ولاء بروفانس والمواطنين فيها للفرنجة الجرمان ، وفضلا عن ذلك ، فان قارلة « شارل مارتل » عندما استرجع أملاك الكنائس والأديرة ، لم يردها على أهلها ، بل وزعها على رجاله ، وأكثر من ذلك ، لم تسلم كنوز الكنائس من نهب قارلة وجنوده ، مما أغضب القساوسة ، وعامة الناس .

ويفسر هذا تحالف « موروون » الذي اتخذ لقب : «دوق مرسيليا » مع المسلمين<sup>(٢)</sup> ، وكذلك أسقف « أوكسير » وغيرها . وعلى ذلك لم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمون بأنصار الثقافة اللاتينية كما زعم مؤرخو الغرب ، فلم يكن الفرنجة يعرفون من اللاتينية شيئا ، بل كان قارلة نفسه لا يكتب اسمه لا باللاتينية ولا بغيرها<sup>(٣)</sup> .

---

(١) فجر الاندلس ، ص : ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(٢) وكان يتحكم في أغلب اقليم بروفانس .

(٣) فجر الاندلس ، ص : ٢٧٧ عن :

— Deuaesly P. 296 , Scotl I. P. 309 , Deanesly P. 286

وكذلك كان شارلمان بعده ، وموقف قارله من الكنائس وكنوزها يثبت أن موقفه موقف طاغية عسكري ، لا يفكر إلا في ملكه ، وأمواله ، وغنائمه • وليس الى الشك من سبيل في أن السمع بن مالك ، وعبد الرحمن الغافقي وأمثالهما من الفاتحين في فرنسة ، كانوا يعرفون عن المسيح والمسيحية أكثر مما كان يعرفه قارلة « شارل مارتل » ورجاله في مملكته ، لذلك كانت بواتيه صراعاً بين حضارة وجاهلية ، وبين نظام وفوضى ، وبين انسانية وهمجية ••• على المدى البعيد •

وهذا ما فطن اليه المؤرخون الاوريون ، قال أناتول فرانس:

« إن أهم تاريخ في حياة فرنسة هو معركة بواتيه حين هزم شارل مارتل الفرسان العرب في بواتيه سنة ٧٣٢ م ، ففي ذلك التاريخ بدأ تراجع الحضارة العربية أمام الهمجية والبربرية الأوربية » •

٦ — بعد بلاط الشهداء لم يفقد المسلمين جميع ما كان تحت أيديهم في فرنسة ، بل ظلت لهم أربونة وما حولها ، على أن الذي لا ريب فيه أن غزوة الغافقي هذه كانت آخر محاولة جدية قام بها المسلمون لغزو بلاد الفرنجة •

٧ — وانهزام المسلمين في بواتيه لم يكن هو الذي أوقف تقدمهم ، لأنهم كانوا إذ ذاك قوماً مجاهدين « الموت أحب إليهم من الحياة » ، وكانت الهزائم لا تعني في حسابهم شيئاً ، وقد رأيناهم ينهزمون المرة تلو المرة في شمال افريقية ، أيام عقبة بن

لأنهم ، فلم يسمح لهم ذلك من العودة والاصرار على الفتح ، إنما الذي  
أوقف هذه المسلمين هم المسلمون أنفسهم ، بما شجر بينهم من فتن  
المسيحية . وما صرفهم عن مواصلة الفتوح من أحقاد النفوذ ،  
ومعها النظرة الجاهلية الى الحياة<sup>(١)</sup> .

٨ - لو انتصر المسلمون في بلاط الشهداء ، لدخلوها فاتحين  
منظمين ، يريدون ادخالها في رحاب دولتهم وتحويلها الى الاسلام،  
ولو استقر لهم الامر في فرنسة لاتجه نظرهم الى ماوراءها ، ومن  
هنا كانت أهمية « بلاط الشهداء » في تاريخ النصرانية ، فقد  
حالت بينها وبين الزوال حقا .

ولا يمكن القول بأن المسلمين لو كانوا انتصروا في بلاط  
الشهداء وأقاموا حكم الاسلام هناك لما منع ذلك النصرانية من أن  
تعود كما عادت في الأندلس ، لأن الذي أعاد النصرانية في الأندلس  
انما هو عجز المسلمين عن فتح فرنسة<sup>(٢)</sup> .



---

(١) فجر الأندلس ، ص : ٣٠٥ .

(٢) فجر الأندلس ، ص : ٣٠٢ .



# المسلمون في فرنسة بعد بلاط الشهداء

✱ خسر المسلمون بواتيه ، وبالتالي  
خسروا أوربة كلها ، ولعل الله عز وجل أراد  
أن يبقى اسلام أوربة الى القرن العشرين ،  
حيث يشهد العالم اليوم دخول الاوربيين الوفا  
في الاسلام ، ليعلم العرب ان الاسلام قوته  
ذاتية خالدة ، وانهم اقوياء بالاسلام وحده .

تحالف « مورون » دوق مرسيليا مع يوسف بن عبد الرحمن  
الفهري والي أربونة ، وزحفا معاً وعبرا نهر الرون ، واستوليا على  
« آرل » عام ٧٣٥م ، ثم حاصرت الجيوش المتحالفة مدينة « فرتا » ،  
وهي المعروفة اليوم باسم « سان ريمي » ، ثم تقدمت هذه الجيوش  
واستولت على « أفينيون » وهي التي يسميها العرب : « صخرة  
ابنيون » .

كما وصل المسلمون الى نهر « ديرانس » أحد فروع نهر  
الرون ، وهو الذي تقع عليه مدينة افينيون ، عند نقطة اتصاله  
بالرون ، وظل المسلمون يتحكمون في « بروفانس » أربع سنوات،  
لم يجرؤ خلالها أحد على منازعتهم السلطان فيها (١) .

---

(١) المسلمون في أوربة ، ص : ١١٧ ، عن فجر الاندلس ، ص : ٢٧٨ ، والعرب  
والاسلام في الحوض الغربي ، ص : ٦٨ .

ورحمه شارل مارتل عام ٧٣٢ م ، واستولى على لودون  
« لود » . وكان المسلمون قد تخلوا عنها بعد بلاط الشهداء ،  
كما سجلوا عن برجنديا ، وفي عام ٧٣٥ م ، توفي الدوق اودو ،  
ووافق شارل على أن يخلف « هينود » أحد أبناء الدوق أباه في  
منصب الدوقية ، مع تبعيته لشارل ، فأقسم هينود يمين الولاء له .

اطمأن عبد الملك بن قطن الفهري الى نجاح قائده يوسف  
الفهري ، فأنصرف الى تدعيم سلطان المسلمين في امارات جبل  
البرانس ، لكنه لم يوفق ، فولى الخليفة مكانه عقبة بن الحجاج  
السلولي عام ١١٦ هـ / ٧٣٤ م . والسلولي كما وصفه ابن عذاري :  
« صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدة » .

لقد كان السلولي من طراز الغافقي والسمح وعنبسة ، تقوى  
وحباً للجهاد ، وعدلاً وحسن سيرة ، حتى أن الروايات النصرانية  
تجتمع على الثناء عليه ، ويذكر عنه ابن عذاري<sup>(١)</sup> أيضا : أن  
الرجل كان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يدعوهُ الى الإسلام ،  
ويبين له فضائله ، فأسلم على يديه ألف رجل ، مما يثبت لنا  
تاريخيا ، أن عقبة السلولي ، ومن عمل تحت امرته من المسلمين  
كانوا يؤثرون الرفق ، حتى مع الأسرى — وكان مصيرهم القتل في  
قواعد الحرب في تلك الأيام — فكيف بأهل المدن والأرياف ، أو  
الأديرة والكنائس ؟!

ومن حسن تصرف عقبة بن الحجاج السلولي ، أنه لما لم يجد

---

(١) البيان المغرب ، ج : ٢ ، ص : ٢٩ .

في تصرفات سلفه عبد الملك بن قطن الفهري ما يؤخذ عليه ، عهد إليه بقيادة الخيالة ، وأرسله الى الثغر ، وأخذ يعد العدة لعبور البرانس<sup>(١)</sup> ، بعد أن اشتعل حماس المسلمين للثأر لبلاط الشهداء ، فحَصَّنوا ما بأيديهم من مدن غاليا ، وشحنوها بالمقاتلين ، ثم عبروا « دوفيني » شمال بروفانس ، وفتحوا « فالانس » على نهر الرون ، واستعادوا « ليون » و « برجنديا »<sup>(٢)</sup> .

وجال عقبة السلولي في شرق فرنسة ، في الوجهة التي سلكها غنبة قبله ، ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه غنبة شمالا ، وسيستشهد عقبة قرب قرقشونة ، احدى مدن سبتمانية في صفر ١٢٣<sup>(٣)</sup> هـ .

استعد شارل مارتل لاسترداد ليون وبروفانس وأفنيون ، التي تعتبر مفتاح الرون ، وقرر الاستيلاء على مرسيليا أيضاً ، ليتخلص من تحكم المسلمين في جنوب فرنسة ، هذا التحكم الذي يؤدي الى ضيق اقتصادي شديد لغرب أوربة .

استولى شارل مارتل عام ٧٣٧ م على أفينيون واقتحمها بعد أن استمات المسلمون في الدفاع عنها ، ثم حاصر أربونة معقل المسلمين في جنوبي فرنسة ، وأميرها يومئذ « الهيثم » أو هرثمة كما في بعض المصادر ، ولكنه عجز عن فتحها ، إذ أسرع عقبة السلولي ، وأرسل جيشاً عن طريق البحر لنجدة أربونة ، غير أن

---

(١) ابن عبد الحكم ، ص : ٢٩٣ ، أرسلان « غزوات العرب » ص : ٩١-٩٢ .

(٢) نفح الطيب ، ج : ١ ، ص : ٢٢٠ .

(٣) نفح الطيب ، ج : ١ ، ص : ٢٠٥ .



شارل مارتل باغت هذه النجدة قبل أن تنتهي للقتال ، وقضى عليها ،  
ومع ذلك حسدت أربونة للحصار ، مما اضطر شارل الى الرحيل  
عنها . بعد أن نازل المسلمين أياما ، أصيب له فيها رجال عديدون ،  
مبغض عليه المقام ، وخامرته ذعر وخوف من المسلمين ، فزال عنهم  
راحلا الى بلده ، وقد نصب في وجه المسلمين حصونا على وادي  
رودنة ، شكها بالرجال ، فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين<sup>(١)</sup> .

وقبل أن يرحل شارل خرب القلاع في « نيم » و « آجه »  
و « بيزي » و « ماجلون » التي تعرف باسم « ثغر المسلمين » ،  
إذ كانت مرسى أمينا للسفن الاسلامية القادمة من الأندلس  
وافريقية ، فكان تخريبه لها بقصد حرمان المسلمين من الامدادات  
التي تصل عن طريقها<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وبينما تلك الأحداث تجري في حوض البحر المتوسط الغربي ،  
كانت الدعوة العباسية تشغل الخلافة الأموية في أواخر عهدها ،  
فلم تتمكن الدولة الأموية من بذل العناية الواجبة بهذا القسم  
البعيد من العالم الاسلامي في الغرب ، وأصبح أمر الأندلس  
موكولا لأمرافريقية والأندلس وامكانياتهم ، وزاد الأمر خطورة  
ثورة الخوارج في افريقية عام ٧٤٠ م ، ثم ثورة البربر ضد العرب  
في اسبانية وتكرارها عام ٧٤٠ ، ٧٤٧ م . كل ذلك يفسر لنا

---

(٢) نفح الطيب ، ج : ١ ، ص : ٢٧٤ .

(١) فجر الاندلس ، صفحة : ٢٨١ ، ٢٨٤ .

ما تتابع من بعض الهزائم في فرنسة ، مما أثر على الروح المعنوية في مسلمي الأندلس •

وفي عام : ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م قامت الدولة العباسية ، وانتقلت الخلافة من دمشق الى بغداد ، مما أدى الى انقسام العالم الاسلامي •

كما حدث تغير في العالم الغربي أيضاً ، فقد زالت الدولة الميروفنجية ، وقامت الدولة الكارولنجية ، فبعد وفاة قارلة « شارل مارتل » عام ٧٤١ م ، ورثه أبناؤه الثلاثة : « كارلمان » وبين القصير ، وابن غير شرعي هو جريفو » • وساعدت الظروف بين القصير ، فانفرد بالنفوذ عام ٧٤٧ م بسبب دهائه ، وتأييد البابوية له ، فأنتهى حكم الميروفنجيين •

وعلى ذلك •• فإن الوضع السياسي في منتصف القرن الثامن للميلاد ، النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، قد تبلور عن وجود ثلاث قوى عالمية ، هي :

١ — الامبراطورية الاسلامية ، الأمويون ثم العباسيون •

٢ — الامبراطورية البيزنطية ، في شرق أوربة •

٣ — دولة الفرنجة الكارولنجية في غرب أوربة •

وخلال هذه الظروف والأحوال المضطربة في العالم الاسلامي ، قام المسيحيون في مدن سبتمانيا بمساعدة الجيش الفرنجي ، فتمكن « أنسمندس » القوطي من ارجاع المسلمين عن سبتمانيا ومدنها

عام ٧٥٢ م ، واستعاد أغلب المدن ، أما « أربونة » وهي آخر حصن فوي للمسلمين ، فقد حاصرها الفرنجة ، وطال حصارها لمناعتها ، وسكن المسلمون خلال الحصار من قتل القائد القوطي في كمين ، وبقيت أربونة ممتنعة على أعدائها (١) .

ولما دخل عبد الرحمن الداخل الأموي الأندلس ، واستتب الأمر له عام ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م ، التفت الى مدينة أربونة المحاصرة ، وارسل لها مددا بقيادة الأمير سليمان الأموي ، ولكن عصابات المسيحيين المنتشرة في جبال البرانس قضت على هذا المدد .

وطال حصار أربونة ، فتآمر السكان المسيحيون بها ضد المسلمين ، وقرروا الايقاع بهم ، فاتفقوا سراً مع بين القصير على تسليمه المدينة ، بشرط أن يتركهم أحراراً في مدينتهم مستقبلاً ، وقاموا على الحامية الاسلامية في أربونة ، فأجهزوا عليها ، واقتحموا أبواب المدينة ، وفتحوها لجيوش الفرنجة ، فدخلتها سنة ٧٥٩ م ، وبذلك قضى على الحكومة الاسلامية في أربونة بعد أن ظلت بها نحو أربعين سنة : ٧٢١ - ٧٥٩ م (٢) .

كما سقطت سبتمانيا بيد الفرنجة بعدها ، ولما توفي بين سنة ٧٦٨ م ، كانت جبال البرانس هي الحد الطبيعي بين مملكة الفرنجة والمسلمين في الأندلس .

حكم الفرنجة بعد بين القصير الأخوان شارلمان وكارلمان ،

---

(١) المسلمون في أوربة ، ص : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) فجر الاندلس ، ص : ٢٩٠ ، وغزوات العرب « ارسلان » ، ص : ١١٢ - ١١٣ .



وبموت كارلمان عام ٧٧١ م ، حكم شارلمان مملكة الفرنجة موحدة نحو ثلاثة وأربعين عاماً ، وفي زمن شارلمان قل العمل الاسلامي في فرنسا ، مع بقاء الطريق مفتوحاً أمام الزحف الاسلامي ، وذلك من حصن سرقسطة الواقعة على نهر إيبيرة ، ومن المعاقل الاسلامية في برشلونة ووشقة<sup>(١)</sup> .

★ لقد انصرفت جهود المسلمين كلها الى الجنوب الشرقي لفرنسة والى حوض الرون ، ولو نفذوا من الغرب أيضاً من أول الأمر لسيطروا على أقطانية ، وأزالوا هذه الشوكة من جنبهم ، وثبتوا أقدامهم في جنوب فرنسا كلها ، ولا استطاعوا أن يكونوا أثبت أقداما في المعارك التي هُزموا فيها على حدود هذه الدوقية عند طولوشة مرة ، وعند تور - بواتيه مرة أخرى . وربما كان سبب ذلك هو أن سلطان المسلمين لم يتمكن تماماً في الركن الغربي من جبال البرانس ، وبقيت مساحات أخرى واسعة يسكنها أقوام جيليون ذوو مهارة حربية وجلد ، لم يخضعوا لسلطان المسلمين ، بل ظلوا يتربصون بهم الفرص ، لا يكاد يمر بهم بعث اسلامي إلا هاجموه وتخطفوا رجاله ، ولا أمكنتهم غرة في المسلمين إلا انتهزوها ، وقد كان ترك المسلمين للسيطرة على هذه الناحية من أهم الأسباب في زوال سلطانهم عن منطقة البرانس وما جاورها من الولايات الاسبانية النصرانية التي ستناوىء المسلمين مثل أرغون ونبرة وشرطانية ، ورياجورثا وغيرها . . . ولو اهتم المسلمون

---

(١) وهذا ما سنراه في الجزء السابع من هذه السلسلة في موقعة باب الشيزري

« ممر رونسفال » ان شاء الله .

باكسال اخضاع منطقة البرانس وتثبيت أقدامهم فيها لتسكنوا من القضاء على كل قوة مناوئة لهم فيها ، ولكان هذا أجدى عليهم من الاسترسال في مغازاة فرنسة ، لأن غزواتهم في فرنسة لم تؤت لهم أي ثمر على الإطلاق ، في حين كان تمهيد الأمر في نواحي البرانس تسهيداً تاماً يؤمن الأندلس الاسلامي ، ويقطع كل سبيل لنصارى الأندلس في الاتصال بالجماعات النصرانية الكبرى في فرنسة وإيطالية<sup>(١)</sup> .

رحم الله الحرّ بن يوسف ، والسمح بن مالك ، وعنبسة بن سحيم ، وعبد الرحمن الغافقي ، وعبد الملك بن قطن . . . وكل من استشهد من المجاهدين معهم ، لقد شعروا أنهم يقومون بفتح منظم لفرنسة ، هدفه ادخالها في رحاب الاسلام ، لا مجرد غارات سريعة بعيدة المدى هدفها غنيمة ، بل إن جهودهم كانت من أروع وأبهى الفتوح الاسلامية الحربية ، وإن تضحياتهم كانت من أغلى ماضحي في فتوح الاسلام ، وكانت أعمالهم جديرة بالاستتباب في فرنسة وادخالها في الدين الحنيف ، لو لم يكن الأندلس نفسه مضطرباً منقسماً ، ولولا البعد السحيق عن مركز الخلافة في دمشق ، حيث حرم الفتوح من توجيه الدولة ، ومن عونها السريع بالرجال . ولولا أحداث المشرق الاسلامي التي انتهت بالقضاء على الامويين وقيام دولة بني العباس .



---

(١) فجر الأندلس ، ص : ٢٩٤ - ٢٩٥ وما بعدها .

# خَاتِمَةٌ خَرَّافَةٌ مُؤَنَّفَسَةٌ و « شَارْلُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ »

★ « لنجعلها لكم تذكرة ، وتعيها أذن  
واعية »

الحاقة : ١٢

★ في « روايات تاريخ الاسلام » قدّم جرجي زيدان رواية تحمل عنوان « شارل وعبد الرحمن<sup>(١)</sup> » • والمختفحص الدارس لهذه الرواية ، يجدها رواية خيالية نسجها « جرجي » حول شخصيات لا وجود لها على مسرح الحياة ، ومن حسن الطالع أنني كتبت « بلاط الشهداء » كما جاءت في مصادرنا العربية الاسلامية ، ثم عدت وتفحصت رواية « جرجي » عن شارل وعبد الرحمن ، فكانت الدراسة الثانية تنمة للدراسة الأولى ، خرجت منهما بأكثر من عشرين نقطة يمكن التحدث فيها ، مع أنني لو قلت ليس في الرواية نقطة تستحق الكتابة فيها لأمكنني ذلك ، إذ أن الرواية خيالية لا أصل لها تاريخيا ، ومع ذلك سنناقش أولا أصل فكرة الرواية التي اعتمد عليها « جرجي » ، وهي خرافة في أساسها ،

---

(١) سوء الطوية يظهر في عنوان الرواية « شارل وعبد الرحمن » ، لقد قدم « جرجي » شارل على عبد الرحمن ، ولا ندري لماذا ؟!



ثم نعالج — بعد تجاوز هذه الخرافة — الطعنات والشبهات التي وجهها « جرجي » في روايته لتاريخنا وإسلامنا وأبطالنا . وهذا من قبيل وضع الاصبع على مواطن الادانة ، لا مواطن الاتهام .  
★ جعل « جرجي » أبطال روايته « شارل وعبد الرحمن » ، وهي جزء من سلسلة تحمل اسم « روايات تاريخ الاسلام » . على النحو التالي (١) :

١ — عبد الرحمن الغافقي : قائد الجيوش الاسلامية .

٢ — هانيء ، ولا نسب أو والد له ، وهو شخصية لا أصل لها ، اخترعها « جرجي » من فكره ، وأوكل إليه قيادة الفرسان المسلمين .

٣ — شارل « قارلة » : قائد جيوش الافرنج ، وحاكم أوستراسيا ، وشارل في الرواية — كما أوضح « جرجي » — بطل من أبطال تاريخ الإسلام !

٤ — بسطام ، لا نسب له أيضاً ، جعله « جرجي » قائداً للبربر ، وهو أيضاً شخصية خيالية ، جعلها الى جانب « هانيء » لمنافسته في حبه لفتاة يتبادل معها « لواعج الغرام » .

٥ — مريم : حبيبة هانيء ، تحمل وجه امرأة لا مثيل لجماله في العالم ، وفيها شجاعة الرجال ورقة النساء .

---

(١) نورد هنا الابطال كما رتبها « جرجي » في الصفحة الثانية من الرواية ، كما أوردتها دون اضافة من قبلنا ، أو حذف احداها .

٦ - سالة « أجيلا » : والسدة مريم ، زوجة رودريك  
« لذريق » ملك الاسبان ، وهي بطلة في رواية تحصل اسم  
« روايات تاريخ الاسلام » !

٧ - لمباجة : بنت الدوق أودو ، وزوجة لقائد بربري سابقاً ،  
وهي « عل وأساس في رواية تاريخ الاسلام » !

٨ - أودو : حاكم اkitania ، ووالد لمباجة ، وكما هو ظاهر ،  
أودو أيضاً بطل من أبطال روايات تاريخ الاسلام !

★ وقبل مناقشة النقطة الاولى ، نذكر هنا المراجع التي ثبتت  
في الصفحة الثانية من الرواية ، والمتفحص لهذه المراجع يجدها  
تمويهاً كبيراً لكذب الرواية ، وطلاء زائفاً أراد صبغ الخيال  
بالحقيقة التاريخية ، فان ذكر ابن الأثير مثلاً تراه عاد اليه مرة أو  
مرتين فقط ، خلال رواية صفحاتها ٣٤٣ صفحة<sup>(١)</sup> . بينما يعود  
مرات عديدة الى مراجع أجنبية ، معروف أصحابها بالتعصب  
والصلبية ، والتعصب والصلبية يكفيان لمجانبة الحقيقة ، ولعدم  
الموضوعية في البحث ، فهو يعتمد على : رينو ، رومي ، دوزي ،  
جوبون ، فيسفوروس<sup>(٢)</sup> .

كما تراه يعود الى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » لتثبيت  
أقوال له ، كما في الصفحة : ١٤ و ٤٢ و ٤٩ .

---

(١) الطبعة هنا ، هي طبعة : منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر -

بيروت .

(٢) هذا لا يعني مطلقاً رفض كل مرجع أجنبي ، المرجع الاجنبي الذي يبحث في  
تاريخنا ، ان اعتمد مؤلفه على مراجعنا ، او ان عرف بموضوعيته وبيحثه عن  
الحقيقة ، ويبعده عن التعصب ، فلا بأس في اعتماده أبداً .

ومراجعته كما ذكرت في أول الرواية هي كالتالي :

١ - ابن الأثير ، وعاد إليه مرة واحدة فقط في صفحة : ٢٩٩ .  
٢ - وذكر « جوبون » في مراجعته ، ولكنه لم يرجع إليه على الإطلاق .

٣ - أبو الفداء ، لم يرجع إليه أبداً ، فلا يعثر القارئ على أية إشارة لأبي الفداء وتاريخه « البداية والنهاية » .

٤ - رومي ، عاد إليه عشرة مرات في الصفحات : ٨ ، ١٤ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ١١٠ ، ١٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ .

٥ - رينو ، عاد إليه تسع مرات في الصفحات : ٨ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٦٣ .

٦ - دوزي ، عاد إليه مرة واحدة فقط .

٧ - المقرئ ، وعاد وذكر « جرجي » مرجعاً آخر هو « نفح الطيب » ونفح الطيب هو لمؤلفه المقرئ ، فذكرهما وكأنهما مرجعان منفصلان ، ومع ذلك .. عاد الى « نفح الطيب » مرتين فقط ، في صفحة : ٢٩٨ و ٢٩٩ لخبر واحد ، ولذكر فكرة واحدة ، هي عزم المسلمين على مواصلة الفتح في أوربة حتى يعودوا الى الشام من طريق القسطنطينية .

٨ - مختصر الدول ، لم يرجع الى هذا الكتاب أبداً .

٩ - وكذلك لم يرجع الى المرجع المدون فيسفوروس .



١٠ - كتاب « نهاية الأرب في قبائل العرب » ، عاد إليه مرة واحدة صفحة : ١١ فقط ، ليذكر أن عبد الرحمن الغافقي من قبيلة بني غافق ، وهي من القبائل اليمنية •

١١ - ثم عاد وذكر من المراجع « رينو ورومي » معاً ، وقد ذكر اقرباً •

١٢ - البيان والتبيين للجاحظ ، عاد إليه مرة واحدة صفحة ٤٤ فقط ، ليذكر أن في جملة جيش الاسلام جنداً من البربر ، وجماعات من الصقالبة والجرامقة والجراجمة والاقباط والانباط وغيرهم ، ويتبعها بقول الجاحظ : « وفيهم من لا يزال على اليهودية أو النصرانية أو الوثنية أو المجوسية ، وإنما يتظاهرون بالاسلام » • وهذا كلام مرفوض كلا ، لأن المسلمين لا يتعاملون مطلقاً مع وثنية أو مجوسية ، ولا يعترفون بهما في الأصل ، لأنهما ليستا من أهل الكتاب •

هذه هي كل المراجع التي عاد إليها « جرجي » في تأليفه رواية « شارل وعبد الرحمن » الخيالية !!

\* \* \*

أولاً ••

جعل « جرجي » محور روايته على امرأة اسمها « لمباجة » ، وكان للمباجة هذه دور رئيسي في مسار الرواية وأحداثها ، وإذا عدنا الى مصادرنا العربية الاسلامية نجدها تقول :

تزعم الكتب الافرنجية أن عثمان قد أسر في إحدى غزواته  
ابنه أودو دوق أكويتانية ، وكانت رائعة الجمال ، فهم بها  
وروجها . وتسمى تلك الكتب ابنة أودو أسماء مختلفة :  
وميرانسة ، مينين ، لامباجية<sup>(١)</sup> ، وكذلك تسمى تلك الكتب  
عثمان نفسه مونوسة ، أو مونوزا ، وتجعله من البربر .

وقالوا : فلما سكن عثمان الى زوجته ترك الغزو ، وأصبح  
سلعه مع صهره أودو ، ونذيراً إليه بتحريك الجيوش الاسلامية  
نحو بلاده ، فيقال : إن عبد الرحمن الغافقي أرسل الى عثمان من  
علتب عليه فقتله ، وقيل بل قتل في حدث آخر<sup>(٢)</sup> ، « ومع أن الغالب  
على هذه الرواية أنها موضوعة من أساسها ، فانها تدل على أن  
عبد الرحمن الغافقي لم يكن غافلاً عن بعث الطلائع قبل أن قام  
بهجومه الرئيسي<sup>(٣)</sup> » .

لقد نسجت الروايات الأوربية الكنسية حول مونوسة أو هامما ،  
ونحلت حولها تفاصيل لاستنتاج أمر ، أو بناء أمور اتخذتها فيما  
بعد حقائق لا ريب فيها . وخلطت — كما جاء في تاريخ غزوات  
العرب — بين مونوسة وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي ، أحد ولادة  
الاندلس لمدة خمسة أشهر ، ابتدأت من شعبان سنة ١١٠ هـ ، كل  
ذلك يجعل من مونوسة خرافة ، وعلى الخصوص اذا علمنا أن  
مونوسة اسم لأرض ، ففي البيان المغرب لابن عذاري : إن والي

(١) تاريخ غزوات العرب ، ص : ٨٧ .

(٢) الاسلام في الحوضين الشرقي والغربي ، ص : ١٢٨ .

(٣) دولة الاسلام في الاندلس ، ج : ١ ، ص : ٨١ - ٨٥ .

الاندلس غزا منوسه<sup>(١)</sup> . وفي تاريخ ابن خلدون : غزا أرض  
مقوشة فافتتحها<sup>(٢)</sup> .

ومما تقوله الرواية الأوربية الكنسية : أن رجلا من الجنس  
البربري اسمه « مونوس Munus » ترامت إليه من حدود ليبيا  
« افريقية » أخبار الظلم القاسي الذي كان يعانيه أبناء جنسه  
في هذه البلاد ، فصانع الفرنجة ، وصاهر أودو من أقطانية ، وأخذ  
يعمل على إيذاء العرب ، أعداء اسبانية ، ووثب بهم بالفعل ،  
وأصبح في حرب دائمة معهم ، ولكن أنصاره كانوا على خلاف  
متصل معه ، ولم ينهض عبد الرحمن الغافقي لحربه إلا بعد أن  
أرسلت نحوه حوالي عشر حملات ، فنهض عبد الرحمن لمونوسة ،  
وتتبعه ، ففر إلى خواتق الجبال ، وتخرج مركزه ، وضيق المسلمون  
عليه الخناق وقتلوه ، وقبضوا على زوجته وأرسلوها إلى بلاط  
الخليفة . وتفيض الرواية كما نسجت وتخيّلها المراجع الأوربية  
الكنسية بعدها بذكر أعمال العنف والاضطهاد التي أنزلها عبد  
الرحمن بحلفاء مونوسة من النصارى ، وخاصة أهل شرطانية ،  
وكيف أنه أحرق « أناباديوس » أسقفها بعد ذلك<sup>(٣)</sup> .

ويمكن تقديم سؤال واحد تترك اجابته للقارىء ، ننهي به  
خرافة مونوسة « لمباجة » ، لقد نصّت الرواية الأوربية الكنسية

---

(١) البيان المغرب ، ج : ٢ ، ص : ٢٨ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ، ج : ٤ ، ص : ٢٥٨ .

(٣) القصة في « فجر الاندلس » ، ص : ٢٥١ وما بعدها ، عن :

Isidoro Pocense : Chronicon C. 58

على أن المسلمين قبضوا على زوجة مونوسة ، وأرسلوها الى بلاط  
الخليفة ، أي الى دمشق ، على بعد آلاف الأميال عن الأندلس ،  
الآلاف الأميال عن أرض فرنسة ، مسرح أحداث رواية « جرجي » ،  
وكيف رافقت مونوسة ، أي لمباجة في عرف « جرجي » الحملة مع  
العافقي . لتعمل دساً وتخريباً ووقية ، مع أنها في بلاط الخليفة  
بدمشق ، بحسب نص الرواية الأوربية الكنسية ؟!

ولنتفكر بعدها بخاتمة الخيال ، بعد ذكر أعمال العنف  
والاضطهاد التي أنزلها عبد الرحمن العافقي بالنصارى « وكيف  
أنه أحرق أناباديوس أسقف شرطانية » ، فهل عُرِف المسلمون  
بمثل هذه الأعمال على مرّ تاريخهم الطويل الواسع ، هذا التاريخ  
الذي يشهد بعفوهم وبرحمتهم التي شملت الحيوان والنبات  
فضلاً عن الإنسان<sup>(١)</sup> ، حتى قال منصف من الأوربيين أنفسهم :  
« ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب<sup>(٢)</sup> » ؟!؟

إنه التعصّب الكنسي ، وصليبية العصور الوسطى الأوربية،  
التي وقعت بالمتناقضات عندما نسجت من خيالها تاريخاً فافترت ،  
ودسّت على تاريخنا عن قصد فامترت .

★ ★ ★

---

(١) جاء في وصية الصديق لجيش أسامة « .. ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ،  
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لماكلة .. » .  
(٢) القول للمؤرخ : « غوستاف لوبون » في كتابه : « حضارة العرب » .



## ثانياً ..

وهذه بعض ملاحظاتنا على الرواية « الزيدانية » ، التي نسجها خيال « جرجي » الخصب<sup>(١)</sup> :

١ - عاد « جرجي » كما في روايته « فتح الاندلس » ليدس بين العرب والبربر ، وليتهم الأمراء العرب بعدم تفر بطهم في جند العرب ، فقال عن موسى بن نصير : « فأخذ حملة أكثرها من البربر » ، وهذا كلام مرفوض ، فموسى بن نصير لم يميز بين العرب والبربر ، ولكن قلة العرب في شمال افريقية عند الفتح مباشرة بالنسبة الى أهلها ، جعل قسماً كبيراً من الجند من البربر ، ودليل تقدير موسى لكل كفاءة بغض النظر عن جنس صاحبها أو عرقه ، تعيين طارق بن زياد ، وهو بربري ، قائدا لجند المسلمين وفيهم آلاف العرب .

ومن المضحك ، قول « جرجي » في صفحة ١٤ : « امتهان العرب يومئذ لغير العرب ، ولو كانوا مسلمين » ، فإذا فتشنا عن مرجع أو مصدر هذا الكلام لوجدناه « تاريخ التمدن الاسلامي » الذي هو من تأليف « جرجي » نفسه ، وأشار في نفس الصفحة على أن المرجع كتابه « تاريخ التمدن الاسلامي » ، « فجرجي » يورد أحكاماً ، وشواهد هذه الأحكام ، ومصادر هذه الدرر ، كتابه

---

(١) الملاحظات التي ندونها هنا ليست كل ما يقال ، أو يكتب ، أو ينتقد به « جرجي » في روايته « شارل وعبد الرحمن » ، سندون أهم النقاط ونترك الحديث المفصل الى كتابنا الذي نعهده عن « جرجي » ورواياته .

الذي قدّمه قبل هذه الروايات « تاريخ التمدن الاسلامي » ، وقد كرر هذا في ثلاثة مواضع في الصفحات : ١٤ ، ٤٢ ، ٤٩ .

٢ - يغلط « جرجي » على عادته بين كلمة عرب . وبربر ، ومسلمين ، في كل صفحات الكتاب ، ومثال ذلك صفحة : ٧ ، قوله : « ولم يذهب من فكر العرب فتح أوربة » ، وكلمة « مسلمين » هنا أصح تاريخياً من كلمة « عرب » ، فالعرب ما فكروا بتحرير أنفسهم من الفرس والرومان ، إلا بعد عقيدة ربانية غُرست في نفوسهم فغيّرتهم ، ووحدت صفوفهم ، وجمعتهم على قلب رجل واحد ، العرب ما أخذوا مكائنتهم اللائقة تحت الشمس ، إلا بعد أن أهلهم رسول الله ﷺ ، روحياً ، وفكرياً لفتح الدنيا .

٣ - في صفحة ٨ ، يركز « جرجي » على اغتصاب المسلمين للكنائس ، وجعل المرجع لهذا « رينو عن أيزيدور » ويستمر في ذلك الى نهاية الرواية ، مع أنه يورد في الصفحات : ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٦٨ ما يناقض هذا على لسان سالملة أم مريم ، ولقد ذكرنا في هذا الكتاب أنه إن كان المسلمون قد داهموا ديراً أو كنيسة في سهول فرنسة ، فذلك لا يقاف المقاومة المنطلقة منه ، فقد كانت بعض الأديرة والكنائس حصوناً للمقاومة ، واعترف « جرجي » بذلك في صفحة : ١٦٤ .

٤ - قال « جرجي » في صفحة ٩ : « وكان عبد الرحمن قد أدرك اختلال أمورهم ، أو جاءه البشير بذلك ، فعزم على فتح بلادهم » ، وهذا كلام مرفوض ، لأن الفتح الاسلامي خطة مدروسة ذكرها « جرجي » أيضاً في صفحة ٦ : « وقد عزم على

مواصلة الفتح في بلاد أوربة حتى يعود الى الشام من طريق القسطنطينية » ، فالفتح قائم مخطط له ، ولو لم تختل أمورهم ، وقد كرر ذلك في صفحة : ١٩٦ ، وركز على ما سماه « جشع المسلمين » صفحة : ٣٢٣ .

٥ - جعل « جرجي » في صفحة ١٣ فصلا كاملا عن : [ الغنائم والسبايا ] عند المسلمين ، وبدلا من التصريح بأن الغنائم والسبايا إن وجدت ، هي معاملة بالمثل في عثرف ذلك العصر ، بدلا من التصريح بهذا ، أخذ يلمح أنها هدف وغاية ، وذكر أن أمراء الأندلس ( صفحة ٣٦ ) معظمهم من أهل المطامع ، وقد كرر ذلك صفحة : ١٤٧ .

٦ - وجعل « جرجي » من الشخصيات الرئيسة في الرواية فتاة اسمها « مريم » وعلى عادته في كل رواية له ، جعل منها مثالا للجمال ، قال عنها : « فتاة لم ير الراؤون أجمل منها » صفحة ١٦ ، ناهيك عن كلمات الغرام في رواية تحمل شعار « تاريخ الاسلام ! » ، فلواعج الغرام ، التي يكررها في كل رواية له ، وردت هنا على سبيل المثال في الصفحات : ٣٠ ، ٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٨ ، وقتيل هوالك ، وردت في الصفحات : ٩٠ ، ١٠٢ ، ٣٢٨ ، وهذه بعض المقاطع التي تدون تاريخ الاسلام ، كما يكتبه « جرجي » :

— في صفحة ١٧ : « أما الفتاة<sup>(١)</sup> فكانت واقفة بجانبها ، وعليها لباس أسود مثل لباسها ، وقد أسندت يدها الى كتف المرأة

---

(١) يصف هنا « مريم » عندما رآها هانيء ، وبمثل هذا الوصف يكتب تاريخ الاسلام !!!

.. وهي مكشوفة الزندين الى الكوع ، وقد التف زنداها التفافاً مدماً ، وكانت طويلة القائمة على اعتدال ورشاقة ، وقد بدت غضة ، وحياتها الحياة والنشاط ، ويحبها الرائي — أول الأمر — في الخامسة والعشرين ، وهي في الحقيقة دون العشرين ، سمراء اللون ، سوداء العينين ، كحلاء الجفون ، حادة البصر مع وداعة ورقة .. بدت وقفتها على الصحة والقوة معاً ، ويتجلى فوق ذلك كله لطف سائي يسحر الأبواب ، وكان ثوبها الأسود بسيطاً ، وقد انفتح الرداء من أعلى الصدر فبدا عنقها ، وفيه مظاهر الصحة والقوة بامتلائه واستدارته .. »

— وفي صفحة ٢٣ : « ولكنه<sup>(١)</sup> كان مشغول الخاطر بشيء لا يعرفه غير الذي يعاينه — وهو الحب — ومن غريب أمر الحب أنه يقع على الناس وقوع السبات من حيث لا يعلمون ، وربما كان الباعث على وقوعه نظرة واحدة ، فلا تكاد تلتقي العين بالعين حتى تجيش العواطف ، وتتجاذب القلوب تجاذباً لا سبيل الى دفعه ، ولا يحدث ذلك عند كل نظرة ، ولا في كل انسان ، وانما هو تأثير بعض العيون على بعض القلوب ، فاذا تفاهمت العينان ، استيقظ القلبان وتجادبا كأنهما كانا على ميعاد ثم تاها »

— وفي الصفحة ٣٠ : « خشي « هانيء » أن يكون في حديث الوالدة ما يحول بينه وبين ابنتها « مريم » وقد ازداد تعلقاً بها بعدما لاحظته من رغبتها فيه ، وأحس أنها تحبه حباً شديداً ، فاغتنم

---

(١) يعني هانئا ، عندما ( جاش في فؤاده من عوامل الغرام ، وما غشي بصيرته من عواطف الشباب ) عندما رأى مريم .



مرسه اشتغال الامير بالحديث مع المرأة ، ودنا من الفتاة وقد أراد أن يسمع حديثها ويستطلع أمرها ، فقال وصوته يدل على هيامه : « ما اسمك يا فتاة ؟ » ، فأجابته بصوت دل على لواعج الحب ، وبلسان عربي فصيح : « اسمي مريم » فأعجبته غنة صوتها ، وزاد افتتانه بها لثغة في لسانها تنطق بها الراء غيناً ، فكأنه سمعها تقول : « اسمي مغيم » •

— في الصفحة ٣٢ : « ونظر ( هانيء ) الى مريم ، فرأى عينيها الجذابتين وقد زادها التفكير والاطراق هيبة ، فسبح الخالق لذلك الصنع العجيب » •

— وفي الصفحة ٨٢ العجب العجائب في « روايات تاريخ الاسلام » : « فأعجبه ذلك العتاب واستدل من ورائه على ماله من المنزلة ، عند تلك الحورية ربة الجمال ، وقد كان يعلم أن بينه وبينها فارقاً كبيراً ، ولكنه كان يطمع في حبها •• وكان يقنعه من ذلك الحب أن يسمع مثل تلك العبارة ، فهو ممن يسمونهم « أذئاب العشاق » لأن العشاق ثلاثة : عاشق لا يقنع بغير الحب المتبادل الذي يملأ القلبين ، وعويشق يقنعه أن يقدم لمعشوقته باقة من الأزهار أو عقداً من الجواهر ، ويكفيه منها قبول هديته ولا مطمع له فيما وراء ذلك ، و « ذنب العشاق » وهمه أن يخدم معشوقته خدمة تروقها ، كإيصال كتاب ، أو ابتياع بعض حاجات الطعام أو نحو ذلك » •

كل هذا في روايات تاريخ « الاسلام » فأين التاريخ وأين الاسلام ؟

— ويطول الحديث عن « لواعج الغرام » في صفحة ٣٣٨ ،  
ونكتفي بما تقدم ، وترك الشرح الوافي لكتابنا القادم إن شاء الله  
وهو « جرجي في الميزان » .

٧ -- كرر « جرجي » كلمة « نهب » بحق المسلمين ، في  
الصفحات : ٢١ ، ٢٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، وفي هذا ما يغني عن التعليق .  
٨ — كما بالغ « جرجي » في اظهار البربر على أنهم يسعون  
الى الغنيمة ليس غير ، قال في صفحة ٣٨ : « أكثرهم جاؤوا للنهب  
والسلب ، وخصوصا البرابرة ومن على شاكلتهم ، فهؤلاء لا يفهمون  
معنى الجهاد أو الفتح ، ولا يعرفون ماهو الاسلام ، لأنهم إنما  
اتموا إليه رغبة في الغنائم » .

وتراه يسمي البربر « البرابرة » في الصفحات : ٢٨ ، ٣٢٥ ،  
٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ . وشتان بين المعنيين ، بين قبائل تسكن الأطلس  
والمغرب الأقصى ، وبين معنى « البرابرة » التي أطلقت على القبائل  
الهمجية التي جاءت أوربة فدمرتها ، وأبادت مدناً وقرى ، وفتكت  
بشعوب بأسرها ، وشمل أذاها الانسان والحيوان والنبات ، حتى  
الجماد متمثلا في هدم الآثار الرومانية أينما حلوا ، فسُمِّيت هذه  
القبائل لهمجيتها وبدائيتها ووحشيتها « البرابرة » وهم قبائل :  
الهون والجرمان والفندال ... فشتان بين المعنيين !!

٩ — عبد الرحمن الغافقي ، البطل المسلم ، الملتزم باسلامه ،  
والذي أوصل الاسلام الى قلب فرنسة ، جعل له « جرجي » في  
روايته « شارل وعبد الرحمن » [ خباء من النساء ] صفحة ٥٠ ،  
وذلك بدلا من اظهار مواهبه القيادية وتفانيه في نشر الاسلام ،

وهذا يعني نشر الاخاء والمساواة والحضارة الانسانية العالمية في كل معانيها ، كما جعله يهيم ( في صفحة ٥٧ ) في حب فتاة ، وله قهرمانه مشرفة على خباء نسائه صفحة ٦٨ ، وكذلك صفحة ٧٤ ، حيث يجعل القهرمانه السيدة المتنفذة ، تولى وتعزل حتى الخلفاء ، طبعاً دون ذكر أمثلة من التاريخ كعاداته .

وفي الصفحتين ٧٤ و ٧٩ يجعل للامير هانىء خباء نساء أيضاً ، وهانىء هو الشخصية الثانية بعد الغافقي ، ثم يجعل لكل أمير « خباءه وجواريه » في الصفحات : ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ٢٦٥ . وفي الصفحة : ٩٥ بالذات يجعل للقائد المسلم عبد الرحمن الغافقي [ عشرات من النساء في خبائه ] ، فهل هذه حقائق ؟

ومن منطلق الغيرة على هذا التاريخ المجيد ، والتراث الغالي نقول : احموا تاريخكم ، وسيجوا حوله بسياج متين ، فالعابثون به كثر ، والذين يهدفون الى تشويهه وراءهم قوى معادية لدينكم وتاريخكم وتراثكم وذاتيتكم ....

هل تسمح أمة من الأمم في هذه الدنيا ، ماضياً وحاضراً ، أن يقوم قلم ما — ومهما كان شأنه — بتشويه سيرة أبطالها ؟ فلماذا نحن بالذات هانت علينا أبطالنا ، حتى إننا كدنا نرى سيرتهم مشوهة ، بل صرنا نراها ممسوخة مفترى عليها ، مطموسة ملامحها الرائعة ، ثم لا نبالي !!

تاريخ الاسلام وحضارته ، العامل الاول لشعور العزة والكرامة في أمتنا ، لشعور الفكر الموحد ، والعقيدة المثلى التي فتحت نصف العالم في نصف قرن ، به سُدنا ، وبه عُرِفنا بمكانتنا

السامية بين الأمم ، فلصالح من يتم التشويه ، وجعل تاريخنا سيرة  
جوار وغنائم وأخية وقهرمانات ؟!؟

ألا فاحموا تاريخكم ، تحموا أمتكم من الضياع •

١٠ - يكرر « جرجي » في روايته العبارات التالية :

ظنّت ، ودلّتها قلبها ، قالت في نفسها ، أحس ، تذكر في  
نفسه ، تصور ، فأسر في نفسه ، أضمرت ، لسان حالها يقول ،  
تبادر إلى ذهنه ، خيل إليه •• كما في الصفحات : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،  
٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ••  
وبسبب هذا الخيال الخصب ، والفكر الثاقب ، تراه يقرأ ويكتب  
الأفكار ، وما يجول في نفوس الناس ، وما تشعر به قلوبهم ، لذلك  
فإنه يكتب رسائل متبادلة بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتل  
لا أصل لها •

١١ - ذكر « جرجي » أن المسلمين أينما ساروا في فرنسا  
« غاليا » ، وجدوا قرى وبيوتاً أهلها تركوها ، كما في صفحة ١١٢ ،  
والثابت تاريخياً أن المسلمين لم يؤذوا ، ولم يصيبوا المدنيين بسوء  
مطلقاً ، فهجر البيوت وترك القرى صورة عرفت أوروبة عند مجيء  
الجرمان والهون والفندال •• ، أولئك الذين حصدوا كل شيء في  
زحفهم ، أما المسلمون ، وباعتراف المؤرخين الأسبان مثلاً ، أن  
بلادهم شهدت قمة مجدها ورقياً وتعلمها وإنسانيتها عند الفتح  
الاسلامي ، وكانت شعوب فرنسا تتمنى انتصار المسلمين ليصلوا  
إلى ما وصلت إليه أسبانية من تقدم •



ولسوء طويّة « جرجي » ، فقد وصف المسلمين في صفحة ١١٣ ، بأنهم « ساروا كأنهم بحر يتلاطم بالأمواج » بينما الفرنجة « كثيرون » ، والثابت تاريخياً أن المسلمين كانوا سبعين ألفاً ، والفرنجة هم البحر المتلاطم بالأمواج ، فكأنه لا يريد التماس عذر لانسحاب المسلمين في بواتيه ، فهم بحر يتلاطم بالأمواج ، وعدوهم أقل منهم عدداً ، وذلك ليؤكد الفخر للفرنجة بالنصر .

١٢ - مسرح الرواية ، والقسم الأكبر من أحداثها في الأديرة ، ويكرر تقبيل يد الرهبان للتبرّك بهم ، ويذكر حقوقهم من الاحترام والتقدير ٠٠٠ كما في الصفحات : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٢٧٩ ٠٠ بينما ذكر القرآن العظيم مرة واحدة صفحة ٣٢٦ ، وكأنه كتاب عادي ، لا علاقة للفتاحين به ، فقال « قرآن » هكذا ، لا كريم ولا عظيم ٠٠ ومتى ذكره ؟ ذكر القرآن الكريم قبيل المعركة مباشرة ، لقد تليت آياته ، ولم تغر المسلمين شيئاً ، فلم ينتصروا في بواتيه ، وفي هذا ما فيه من الدس لتحقير شأن القرآن المجيد ، وإظهار عدم جدواه في المواقف الصعبة .

١٣ - يقول « جرجي » في صفحة ١٦٢ : « إن امرأة شاهدت في الدير شاباً مجنوناً » سكنه شيطان » ، فسألت عن قصته فقال لها رئيس الدير : « اعلمي يا ابنتي أن هذا الشاب من جملة الافرنج الذين تجندوا لمحاربة أولئك العرب ، حين بلغهم إقدامهم على فتح هذه البلاد ، وكانت له والدّة لا يعرف من الأهل سواها ، ولا هي ترجو سواه ، فتركها في بيتها وسار الى الحرب ، فاتفق في أثناء غيابه أن جاء المسلمون الى ذلك البلد ، ونهبوا بيت المرأة ، وساقوها في

جملة السبايا الى قلعته في تلك المنطقة ، فلما عاد الشاب الى بلده وأخبروه بما حدث لأمه ، ساق جواده الى تلك القلعة ومعه جماعة من الرفاق ، فأطل على القلعة وكانت موصدة ، فأشرف عليه أحد المسلمين من فوق السور وسأله عن غرضه ، فقال له : أطلب والدتي فانها أسيرة عندكم ، فأجابوه : لا نرد لك أمك إلا إذا أعطيتنا الجواد الذي تركبه ، وإلا فاننا نذبحها أمام عينيك ، فغضب - واسمه داتوس - لذلك غضبا شديدا ، وقال لهم : لا أعطيكم ، وافعلوا بوالدتي ما تشاؤون ، قال ذلك وهو يظن أنهم يخوفونه بتهديده بقتلها ، وانهم لا ينوون اعدامها فعلا ، ولكنه مالبث أن رآهم احتزوا رأسها ورموه إليه وهم يقولون : هذه والدتك فأليك هي ، فلما رأى رأس والدته صعد الدم الى رأسه ، وغاب عن رشده ، ولما عجز عن الوصول الى القاتلين لتحصنهم وراء الأسوار ، جعل يلطم وجهه ويصفق ويكي ويركض فرسه يمينا وشمالا كالمجنون ، ثم انقطع عن أصحابه وأقام عندنا » .

هذا ما أراده « جرجي » على لسان رئيس الدير ، فالحمد لله حصص الحق ، إنها فرية ودسيمة ينفيا ، ويدحضها أخلاق المسلمين الفاتحين بالرحمة والانسانية<sup>(١)</sup> .

والملاحظ لمسار القصة يلمس كذبها بقرينة ودليل :

---

(١) قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة بن زيد : « لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة » . هذه هي اخلاق الفاتحين المسلمين ، وهذا من دستور معاملتهم للشعوب ، لا كما يدعي ويتخيل « جرجي » على لسان راهبه رئيس الدير .

١ - المسلمون جاؤوا الى بلد ، ما اسمها ؟ أين تقع ؟ بلد  
مجهولة ؟

٢ - كلمة « نهبوا » تدل على نفسية المؤلف الحاقدة على  
المسلمين .

٣ - عبارة « تلك المنطقة » تدل على الضياع ، ما اسم  
المنطقة ؟ لا يدري أحد حتى ولا « جرجي » ولا رئيس الدير .

٤ - المسلمون في « قلعة » خلف أسوارها ، هل للمسلمين  
قلاع أو حصون قرب بواتيه في أرض فرنسة !؟

٥ - وصل الجندي الافرنجي فأشرف عليه - من وراء  
الجدر - جندي مسلم ، كيف أحس به ، ومن أعلمه بقدومه ؟  
وبأي لغة تفاهما ؟ بالعربية ؟ أم بالفرنسية ؟ أم بواسطة ترجمان ؟!!؟

٦ - الجندي المسلم يطمع بالجواد ، يطمع بغنيمة ، هذه  
نذالة ، بينما الجندي الافرنجي شهم لا يعطي جواده ، فعليه  
سيحارب المسلمين ، وما الذي يمنع المسلمين من أن يخرجوا إليه ،  
وهو في قلة مع رفاقه ليأخذوا الجواد وتبقى الأم أيضا معهم ؟!!؟

٧ - أم الجندي الافرنجي سبية بحسب قول « جرجي »  
على لسان « رئيس الدير » موجودة مع المسلمين ، لماذا يذبحونها  
إن لم يعطهم ابنها الجواد ، ماذا خسروا بعدم اعطائهم الجواد  
لتذبح وتعاقب !

٨ - اظهرت الدسياسة أن المسلمين أهل ظلم وعسف  
ووحشية ، وظهرت الجندي الافرنجي بالجرأة والحمية والغضب  
للحق ، والهياج للعدالة ، فهل هذا صحيح ؟

هذه ملاحظات ثمان ، تغنينا عن التعليق ، ففي النفس ألم ،  
وفي القلب غصة على تاريخنا المجيد كيف يشوه ، وعلى رجالاته  
كيف يُساء إليهم أمام أعيننا ونحن غير عابئين أو مبالين !  
١٤ - من الخطوط العامة للرواية :

هانئ ( العربي ) قائد الفرسان - وهو شخصية خيالية -  
أحب ربة الحسن والجمال والأنوثة مريم ، أو « مقيم » بحسب  
قول « جرجي » ، نافسه على حبها بسطام ( البربري ) - وهو  
شخصية خيالية أيضاً - فتقتل مريم بسطاماً لتتعم بحبيبها هانئ  
( العربي ) ، ثم ينافسه في حبها القائد العظيم عبد الرحمن الغافقي !!  
كما في الصفحات : ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٠٠

ويجعل ( جرجي ) لمباجة : [ أدرى بجيش المسلمين من عبد  
الرحمن ] هكذا أرادها ، وهي نصرانية تكيد للمسلمين ، وهي  
عندهم في معسكرهم لا يدرون طويتها ، كما في الصفحات : ٥١ ،  
٥٢ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

لقد جعل « جرجي » التنافس بين العرب والبربر يمثله التنافس  
بين هانئ وبسطام ، ثم جعل الغافقي يخفق قلبه لفتاة ، فتشغله عن  
أمر الفتح والجيش كله .

وكل هذا مغالطات غنية عن التعليق .

١٥ - يقول « جرجي » في نهاية الرواية ، فرّ الجيش المسلم  
من المعركة ، فبينما الشخصيتان الخياليتان هانئ ومريم لم يفرا ،  
لا يليق بهما ذلك ، فقررا الموت معاً طواعية : « الموت معك حياة



يا حبيبي .. يا حبيبي .. آه ما ألد هذا اللفظ ، وكم كنت أتلذذ بتكراره في خلوتي ، وأتحرر على سماعه من فمك » ، (صفحة: ٣٤٢) .  
لقد عزما على النزول في البحر ليغرقا ، ويصبحا طعاماً للأسماك ، ولكن هائلاً لما فرغت مريم من قولها أشار بعينه الى جسمها الغض ، وقال لها : « أليس غبناً أن تذهب هذه الأعضاء طعاماً لأسماك البحر ؟ فقطعت كلامه قائلة : ذلك خير لها من أن يفترسها وحوش البر الذين يسمون أنفسهم بني الإنسان .. عجل يا هانئ قبل أن يغلب علينا حب البقاء .. » ، [ صفحة : ٣٤٣ ] .  
« فمد يديه ومدت يديها ، وتخاصرا من جانب ، وتماسكا من الجانب الآخر .. ومشيا على الرمل حتى غرقت أقدامهما في الماء ، فأحسا برده وبانزلاق الرمل تحت الأخمصين ، وكانا كلما انغمرا في الماء ازدادا تعانقاً وازدادا تجاذباً حتى أصبحا جسماً واحداً ، وغطسا في الماء وكل منهما يتلذذ بذكر اسم الآخر ، وبعد دقيقة بدا بعض الرأسين ، والشعر سابح على سطح الماء ، ثم غطسا إلى قاع النهر ، ولم يعد يعلم مصيرهما إلا الله .. » ، [ صفحة: ٣٤٣ ] .  
غريب عجيب .. شخصان غرقا الى قاع النهر « ولم يعد يعلم مصيرهما إلا الله » ؟! ومع قناعتنا بكذب الرواية كلها ، القناعة الكاملة ، فنحن تناقش ما ورد كرواية بين يدي الناس ، فنقول تعليقا على نهاية وختام الرواية كما جعلها « جرجي » :

كل قارئ مهما كانت ثقافته يعلم مصيرهما ، « غطسا الى قاع النهر » ما هو الاحتمال الثاني غير الموت بعد الغرق والالتحار؟! أمثل هذه الغراميات والترهات يكتب تاريخ الاسلام؟!

في حادثة انتحار هانيء ومريم مغالطة واضحة ، فإن الثابت علمياً أن المنتحر يقدم على الانتحار ، ولكنه عندما يشعر بالألم أو بالخطر المحتم فإنه يستنجد ويحاول التخلص مما أقدم عليه ، فعجباً كيف مضى الاثنان متخاصرين الى حتفهما ؟ إنها الروح الروائية التي تعبت بكل القيم •

إن فكرة الانتحار نفسها ما هي إلا من اختراع الكاتب ليقرر فكرة ضعف الايمان عند هانيء والعرب بشكل عام ، فإذا أثبت هذا الأمر كحقيقة واقعة أثبت بطلان فكرة الجهاد والفتح لغاية انسانية شريفة ، ليقنعنا أن الفاتحين ما قاموا إلا في سبيل السلب والنهب ، ويظهر ذلك إجلاله لأطراف الرواية الأخرى مثل شارل وأودو ••

★ بعد هذه المناقشة لرواية « جرجي زيدان » : ( شارل وعبد الرحمن ) والتي هي جزء من مثيلاتها في سلسلة : ( روايات تاريخ الاسلام ) ، نقول والله يشهد الاخلاص في القول : « إن الأمة التي تريد البقاء ، تحمي تاريخها بسياج متين من الحراسة » ، نقولها مخلصين ، علّ يدأ مسؤولية تطهّر هذا التاريخ من الدس والتشويه ، نقولها لعل قلباً غيوراً يدفعه نوره الى حماية الجيل من افتراءات المدلّسين :

• « لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية » ، الحاقة : ١٢ •

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً •

\* \* \*

## ولاية الأندلس

من الفتح عام : ٩٢ هـ حتى وصول عبد الرحمن بن معاوية « الداخل »  
عام : ١٣٨ هـ (١) .

- طارق بن زياد ٩٢ هـ
- أبو عبد الرحمن موسى بن نصير ٩٤ هـ
- عبد العزيز بن موسى أواخر سنة ٩٥ هـ
- أيوب بن حبيب اللخمي ٩٧ هـ
- الحرث بن عبد الرحمن الثقفي ٩٨ هـ
- السمع بن مالك الخولاني رمضان ١٠٠ هـ
- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي « المرة الأولى » ١٠٢ هـ
- عنيسة بن سنجيم الكلبي ١٠٥ هـ
- عذرة بن عبد الله الفهري ١٠٧ هـ
- يحيى بن سلمة الكلبي شوال ١٠٧ هـ
- حذيفة بن الأحوض الأشجعي « حكم ستة أشهر » ١١٠ هـ
- عثمان بن أبي نسعة الخثعمي شعبان ١١٠ هـ
- الهيثم بن عبيد الكناني المحرم ١١١ هـ
- محمد بن عبد الملك الأشجعي « شهران » ١١٢ هـ
- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي « للمرة الثانية » ١١٢ هـ
- عبد الملك بن قطن بن ثقل بن عبد الله الفهري ١١٤ هـ
- عقبة بن الحجاج السلولي القيسي ١١٦ هـ
- عبد الملك بن قطن الفهري « للمرة الثانية » ١٢٢ هـ
- بلج بن بشر القشيري ١٢٣ هـ
- ثعلبة بن سلامة العاملي ١٢٤ هـ
- الحسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار رجب ١٢٥ هـ
- يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ١٣٠ هـ
- ابن نافع الفهري ١٣٠ هـ
- واصل عبد الرحمن بن معاوية إلى بلاد الأندلس ١٣٨ هـ

(١) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، لزمارور ، مطبعة  
جامعة فؤاد الأول عام : ١٩٥١ ، صفحة : ٨٥ .





# المحتوى

صفحة

٥

تصدير

١١

المسلمون في فرنسا

٢٠

قائد بلاط الشهداء ( عبد الرحمن الغافقي )

٢٤

المسلمون قبيل المعركة

٢٨

الفرنجة وشارل مارتل

٣١

المعركة .. بلاط الشهداء

٣٦

نتائج المعركة

٤٦

المسلمون في فرنسا بعد بلاط الشهداء

٥٤

خاتمة : خرافة مونوسة وشارل وعبد الرحمن

٧٦

ولاية الأندلس ( ٩٢ - ١٣٨ هـ )

# للمؤلف

- ١ - الإسلام في قصص الاتهام ( ترجم إلى الفارسية )
- ٢ - من ضييع القرآن ؟
- ٣ - الإنسان بين العلم والدين
- ٤ - هارون الرشيد
- ٥ - غريزة .. أم تقدير إلهي ؟
- ٦ - آراء يهدمها الإسلام
- ٧ - الإسلام وحركات التحرر العربية
- ٨ - عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي
- ٩ - الهجرة « حدث غير مجرى التاريخ »
- ١٠ - جرجي زيدان في الميزان

## سلسلة «المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام»

- ١ - القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص
- ٢ - اليرموك بقيادة خالد بن الوليد
- ٣ - نهاوند بقيادة النعمان بن مقرن المزني
- ٤ - ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
- ٥ - فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد
- ٦ - بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي
- ٧ - فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات
- ٨ - الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين
- ٩ - الأرك بقيادة المنصور يعقوب الموحدي
- ١٠ - العقاب بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحدي
- ١١ - مصرع غرناطة « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر »

## غزوات الرسول الأعظم

- بدر الكبرى : رمضان ٢ هـ - كانون الثاني ٦٢٤ م  
غزوة أحد : شوال ٣ هـ - كانون الثاني ٦٢٥ م  
غزوة الخندق : شوال ٥ هـ - شباط ٦٢٧ م  
صلح الحديبية : ذي القعدة ٦ هـ - شباط ٦٢٨ م  
غزوة خيبر : المحرم ٧ هـ - آب ٦٢٨ م  
غزوة مؤتة : جمادى الأولى ٨ هـ - إيلول ٦٢٩ م  
فتح مكة : رمضان ٨ هـ - كانون الثاني ٦٣٠ م  
حنين والطائف : شوال ٨ هـ - شباط ٦٣٠ م  
غزوة تبوك : رجب ٩ هـ - تشرين الأول ٦٣٠ م  
«حروب الردة» : «في خلافة الصديق سنة ١١ هـ»

